محاورة ثياتيتوس لأفلاطون
أو
عن العلم

ترجمة وتقديم
دكتورة / أميرة حلمى مطر
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة



الـكـتـاب : محاورة تياتيتوس لأفلاطون أو عن العلم

المؤلـف : ترجمة الدكتورة / أميرة حلمى مطر

رقم الإيداع : ١٨٣١

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I. S. B. N . 977-215-475-7

الناشـر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيـع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين﴾

صدق الله العظيم

مقدمة المترجمة

يتفق أكثر المؤرخين والشراح على أن محاورة ثياتيتوس[١] ، قد كتبت بعد وفاة سقراط بحوالي ثلاثين عاما أي حوالي عام ٣٩٦ ق.م. وقد سميت المحاورة باسم ثياتيتوس العالم الرياضي الذي ظهر في هذه المحاورة مع سقراط ، أما راوي المحاورة فهو إقليدس الميجاري ، أكبر تلاميذ سقراط سنا ومؤسس الفلسفة الميجارية .

روى إقليدس هذه المحاورة استجابة لطلب صديقه «تربزيون» الذي كان مشوقا لسماعها ، غير أن الفرصة لم تسنح حتى أصيب ثياتيتوس في معركة حربية ، وفي طريقه الى مدينته أثينا مارا بميجارا ، مكان هذه الرواية . وقد دعا إقليدس غلامه وأمره أن يقرأ ذلك الحوار الذي كان قد دونه أيام كان يلتقي بسقراط في مدينة أثينا ، واستراح الصديقان ليسمعا القراءة.

أما عن حقيقة هذا الحوار الذي دار بين سقراط وكان آنئذ في السبعين من عمره وبين ثياتيتوس وكان يافعا لا يزيد سنه على السادسة عشرة ، فالمرجح أنه كان من نبت خيال أفلاطون ، إذ لا يوجد دليل مؤكد على أن هذه المحادثة تمت في حياة سقراط[٢].

وتكون هذه المحاورة مع محاورة السفسطائي نظرية متكاملة في المعرفة وهي تلي محاورة بارمنيدس وتسبق محاورة السفسطائي والسياسي ، ويلاحظ الأستاذ أوجست دييز Dies مترجم المحاورة من النص اليوناني إلى الفرنسية أن أفلاطون نفسه قد قصد أن تقرأ المحاورات على هذا الترتيب نفسه ، بارمينيدس أولا فثياتيتوس فالسفسطائي فالسياسي. ويتضح هذا التسلسل إذا ما ذكرنا أن أفلاطون قد روى في محاورة بارمينيدس ما تم في لقاء متخيل بين سقراط وهو في سن العشرين وبين

---

(١) في اللغة اليونانية تنطق «ثي آيتيتوس» Theaitetus وفي الترجمات العربية القديمة ذكرت «ثاأطاطس» ولكننا فضلنا كتابة اسم العلم «ثياتيتوس» هكذا تيسيرا للنطق مع عدم الابتعاد عن الأصل، وعن الدارج في اللغات الأوربية الحديثة.

(2) CF. Cornford., F.M. Plato's Theory of Knowledge London. 1935. Introduction.

بارمينيدس وزينون حوالي عام ٤٥٠ ق. م ، ولم يؤكد أحد من مؤرخي الفلسفة أن مثل هذا اللقاء قد حدث . ثم يشير أفلاطون في محاورة ثياتيتوس (١٨٣هـ) إلى هذا اللقاء المتخيل المذكور في المحاورة السابقة عليها .

كذلك تنتهي المحاورة بموعد تم الوفاء به في محاورة السفسطائي . وتتصف محاورة ثياتيتوس فضلا عن ذلك بأسلوب أفلاطون في المحاورات المتأخرة ، لذلك فهى تكون مع بارمنيدس والسفسطائى والسياسي مجموعة رباعية تلي مجموعة مينون وفيدون والجمهورية وتسبق مجموعة تيماوس وفيليبوس والقوانين.

ولعل من الطريف أن تقارن مقدمة محاورة ثياتيتوس بمقدمة محاورة خارميدس[٣] . ففي مقابل خارميدس الشاب الوسيم يقدم لنا أفلاطون الشاب ثياتيتوس الذى لا يملك سوى جمال النفس ، وفي مقابل سقراط الذى لا يكتفي بعلاج الجسد بل يعنى – أيضا – بصحة النفس فيوجه خارميدس إلى الجدل الفلسفي بغير أن يثقل عليه، يظهر سقراط هنا في محاورة ثياتيتوس في دور من يمارس مهنة التوليد – توليد الأفكار من النفوس – فيحث ثياتيتوس على إخراج ما في باطنه من حقائق وإذا كانت محاولات خارميدس في تعريف الحكمة قد ظلت بلا جدوى حتى عثر على تعريف لها عند كريتياس فإن محاولات ثياتيتوس تظل تتخبط في تعريفات غير ناجحة حتى يصل إلى تعريف عام للجذور التربيعية مستمد من تعاليم ثيودورس ، ثم يصل من ذلك الى تعريف للعلم مستمد من فلسفة بروتاجوراس في نسبية الحقيقة ، ومن فلسفة هرقليطس في التغير الدائم . ويجرى الحوار في المحاورتين في ملعب ينبض بحيوية الشباب ، ولكن على الرغم من تشابه الإطار الخارجي إلا ان الروح العامة التي تسود محاورة ثياتيتوس تعد أخصب في مضمونها منها في خارميدس وأشد جفافا واتجاها إلى التعليم .

وفي محاورة ثياتيتوس، يحل سقراط الشيخ محل سقراط الشاب المتقد حماسة العائد من معركة «بوتيديا» ليظهر سقراط هنا في صورة أستاذ شيخ يحادث شيخا مثله هو «ثيودورس» .

---

(3) A. Diés. Platon. Théétète. Paris 1950. Notice p. 123.

أما عن شخصية ثياتيتوس – كما جاء وصفها في المحاورة فتوضح مثالا ونموذجا لشخصية الفيلسوف كما يجب أن تكون عليه فى تصور أفلاطون ، وتلتقى بذلك هذا الوصف الذى أورده في الباب السادس من محاورة الجمهورية وهي الطبيعة الفلسفية التى تحقق الاتزان بين الذكاء المتقد والفطرة المتأنية ، وهى نموذج يقدمه أفلاطون لشباب الأكاديمية .

أما سقراط فيظهر هنا في صورة جديدة عما عهدناه عليه في المحاورات السابقة صورة تجعله أشد دقة وأشد ميلا للدراسة وقراءةالكتب وللحديث في العلوم التمهيدية للفلسفة فهى صورة تبتعد عن شخصية سقراط التاريخية . شخصية الفيلسوف الذى لا يدعى العلم ويحاول أن يثير الشك في نفوس محاوريه ولم يصور أفلاطون في هذه المحاورة ثياتيتوس على أنه تلميذ لسقراط بل تلميذ للعالم(٤) الرياضي ثيودورس . وكان ثيودورس يعلم بمدينة قورينائية وقد زاره أفلاطون هناك على حد رواية ديوجين لا يرس وقد ظهر في المحاورة على أنه صديق لسقراط ولبروتاجوراس غير أنه بدأ أكثر ميلا للحديث في الرياضيات منه إلى الخوض في الجدل الفلسفي . وقد ذكر ثيودورس هذا في عداد الفيثاغوريين في مؤلفات أوديم ويامبليخوس (٥) .

وقد التقى به ثياتيتوس في أثينا وتعلم بعض النظريات الهندسية المتعلقة بالنسبة الخاصة بقطر المربع الى ضلعه وبالجذور التربيعية لسلسة الأعداد من ٣، ٥ حتى ١٧ .

أما من الناحية التاريخية فقد ذكرت الآنسة إيفاساكس أن ثياتيتوس الأثيني الفلكي والفيلسوف كان تلميذا لسقراط وأفلاطون ، وأنه قد علم بمدينة هراقليا وهو الذى ذكر الأجسام المخمسة Polyédres المنسوبة لأفلاطون في محاورة تيماوس(٦) ولكنه بعد أن علم بهراقليا رجع إلى أثينا حيث عكف على تدريس الرياضيات بالأكاديمية وكان من أشهر تلاميذ أفلاطون شأنه شأن أودوكس العالم الرياضي الفلكي المشهور ، وقد حددت الباحثة ساكس مولد ثياتيوس أنه وقع في حوالي عام

(4) Diogéne Laerce. ed. Budé III,6.
(5) Cf. A. Dies : Ibid., Notice p. 125.
(6) E. Sachs. De Theateto Atheniensi Mathemation. Berlin, 1914.

٤١٥ ق. م ، وأن من المرجح أن تكون وفاته في عام ٣٦٩ ق.م وهو التاريخ المفترض لهذه المحاورة وهو افتراض يتفق مع ما قد أثر عنه من أعمال تدل على النضج ، كذلك ذهب العالم الفرنسي تانرى Tannery إلى أن الكتاب الثالث عشر عند أقليدس الرياضي ليس مستمدًا من أودوكس بل من ثياتيتوس وهذا ما يقرره برقلس أيضا (٧) وتتفق الأنسة ساكس مع تانرى في الرأى اذ تؤكد ان ثياتيتوس يعد مخترع نظرية الأطوال غير المتناظرة (٨) Les incommensurables في الهندسة وأنه أيضا مخترع قياس المجسمات La Stereometrie وهي التي كانت في مهدها في الوقت الذى كان أفلاطون يكتب فيه الكتاب السادس من الجمهورية .

أهمية محاورة ثياتيتوس :

تعد محاورة ثياتيتوس من أكثر محاورات أفلاطون حيوية وخصوبة وثراء في الأفكار، وذلك لأهمية الموضوع الذى تناولته وهو طبيعة العلم وقد كانت مشكلة المعرفة العلمية مشكلة ملحة في العصر الذى كتب فيه أفلاطون هذه المحاورة . ومازال لها وزنها حتى اليوم . ومن أهم ما ناقشه أفلاطون في هذه المحاورة النظرية الحسية في المعرفة التي توحد بين العلم والمعرفة الحسية وهي نظرية تتفق إلى حد كبير مع فلسفة بروتاجوراس وقوله بالنسبية ، أى أن الإنسان هو مقياس كل شيء ، كما يناقش -أيضا - فلسفة التغير والصيرورة الدائمة المستمدة من فلسفة هرقليطس والتي تتفق مع حد كبير إلى موقف بروتاجوراس السابق ويعد أن يبين أفلاطون استحالة التسليم المطلق بهذه الآراء يشير بطرف خفي إلى ضرورة افتراض المثل العقلية ويقدم محاولتين أخريين في تعريف العلم ، الأولى هي قوله إن العلم هو الظن الصادق، والثانية هي قوله إن العلم هو الظن الصادق المؤيد بالبرهان العقلي ، غير أن هذين التعريفين يفشلان بدورهما لعدم إمكانية الوصول إلى معيار محدد لصدق الأحكام أو الظنون ، ولأن التفسير العقلي يحتاج بدوره لتفسير ، فمثل هذا لتعريف يظهر أنه يدور في حلقة مفرغة .

---

(7)P. Tannery, Geometrie Grecque. p. 100 et. aussi G. Milhaud, les Philosophes Geometres de la Grece. 1900 p. 159-164.

(٨) انظر فقرة ١٤٧ ، ١٤٨ من المحاورة.

ورغم النتيجة السلبية في هذه المحاورة إلا أنها تعد في الواقع نقطة تحول كبيرة في فلسفة أفلاطون التي كانت قد وصلت بتأثير نقد المذاهب الفلسفية المعارضة له إلى طريق مسدود وبخاصة في محاورة بارمنيدس السابقة عليها مباشرة ، فقد بدأ أفلاطون يواجه كثيرا من المشكلات المترتبة على افتراض أن المثل مفارقة للجزئيات ووجه نقده لفكرة المشاركة Participation التي سبق أن فسر بها علاقة المحسوسات الجزئية بالمثل المفارقة في محاورة فيدون والجمهورية ، وكان أهم ما وجه لفكرة المشاركة هو السؤال كيف يشارك المثال في المحسوسات؟ هل يوجد بأكمله في كل الأشياء التي يشير إليها ؟ أم يشارك بجزء منه ؟ ولما كان كلا الفرضين محال لانتقاء الكثرة والقسمة عن المثال فقد أخذ يبحث عما إن كان المثال فكرة في عقل ما ، لكن المثال موضوع للأفكار وليس عقلا أو عملية تعقل ، أما القول بأن الأشياء تحاكي المثل فقد ظهر بأنه قول يفضى إلى عدد لا نهائي من المشكلات ، لأنه إذا كان الأصل والصورة متشابهين فلابد أنهما يفترضان صفة مشتركة بينهما وهذه الصفة المشتركة تفترض مثالا جديدا ، والنتيجة أن المشاركة لا يمكن أن تفسر على أساس المشابهة (٩) .

ومع كل هذه الصعوبات لا يتراجع أفلاطون فى محاورة بارمنيدس عن التمسك بنظرية المثل ، فبغير المثل لا يوجد حوار فلسفى ، وبالإضافة إلى المشكلة الناتجة عن علاقة المثل بالجزئيات المحسوسة تثير محاورة بارمنيدس مشكلة لم يضع لها أفلاطون حلا نهائيا إلا فى محاورة السفسطائي وهي تتلخص في السؤال عن العلاقة لا بين المثل والجزئيات ، بل عن العلاقة بين المثل وبعضها ، أى كيف يمكن للمثال الواحد أن يختلف أو يتشابه وأن يتصل بغيره من المثل؟ وهل هي مثل الواحد البارمنيدى ؟ يجيب عن هذا السؤال بأن الوجود العقلى لا يمكن أن يتخذ صفات الواحد البارمنيدى للسكون المطلق ولا الكثرة المطلقة يفسران الوجود، كما أنه لا يمكن للسكون المطلق ولا الحركة المطلقة أن ينسبا للوجود ومن ثم فقد بدأ أفلاطون يراجع من جديد المذاهب المثالية الميتافيزيقية النافية للكثرة والحركة . كما بدأ يراجع من

(٩) انظر نقد نظرية المشاركة فى محاورة بارمنيدس لأفلاطون.

جهة أخرى المذاهب الحسية التي تسلم بالكثرة والحركة المطلقة فهو لا يوافق بارمنيدس أبا المثالية في استبعاد عالم الظواهر على أنه وهم مطلق ، كما لم يوافق بروتاجوراس وهرقليطس فيلسوفى النسبية والتغير على القول بأن الحقيقة توجد في عالم المحسوسات الدائمة السيلان ، وإذا كانت محاورة بارمنيدس تتضمن نقده للمذهب الأول فقد جاءت محاورة ثياتيتوس لتقدم نقده على المذهب الثاني .

ومن الواضح أن أفلاطون قد اتخذ في اعتباره ابتداء من هذه المحاورات كثيرا من القضايا الفكرية التي لم تكن واضحة في المحاورات السابقة والتي اكتملت في المحاورات التالية . وأول ما يلاحظ هنا المعرفة اليقينية أو العلم epistêma عند أفلاطون لم يعد يفسر بأنه الركون إلى تأمل الحقائق العليا الخالدة الأزلية بقدر ما أصبح محاولة وجهدا لتعقل العلاقات القائمة بين هذه الحقائق ، ومن هنا تتضح عنايته بمنهج القسمة والجدل العقلي على نحو ما ظهر خاصة في محاورتي فايدروس والسفسطائي وهما اللتان وضحتا كيف تكون المثل في حركة اتصال وانفصال ، ففي محاورة السفسطائي تحليل يوضح نظريتي الوجود واللاوجود . ويذهب فيها إلى أن المثل تتصل ببعضها ولكن في حدود معينة . وإن في كل منها قدرا من الوجود وقدرا من اللاوجود وفيها ذاتية – وغيرية وحركة وسكون ، ومن هنا فإن مبدأ عدم التناقض لا يطبق بطريقة مطلقة ، كما كان يفهم في فلسفة بارمنيدس وأتباعه الميجاريين ولا هو يقيم التناقض المطلق الذى طبقه أتباع هرقليطس فقالوا بالسيلان الدائم والصيرورة المطلقة التي تلغي كل ثبات [١٠] .

وبناء على هذا التطور الفكرى فقد أصبح إدراك المثل يفترض إدراك الوحدة التي تفسر الكثرة ، غير أنها ليست وحدة بسيطة ، بل هي وحدة مركبة حيث إنها ذات علاقات متعددة.

وقد كانت محاولة أفلاطون في تفسير المثل ببعضها ضرورة لا غنى عنها لتبرير قيام اللغة العلمية التي تتركب من موضوع ومحمول ، بحيث يمكن الاتصال بين موضوع كسقراط وبين محمول كإنسان ومن هنا يتخذ فعل الكينونة وظيفة الرابطة بين مثال وآخر أو بين فكرة وفكرة أخرى ، وبهذه النتيجة نجح أفلاطون في تفنيد

(10) L. Robin, Platon. Paris. 1938, p. 49-66.

دعاوى الآيليين وأتباعهم الميجاريين الذين أنكروا إمكانية إضافة تصور إلى آخر ، وبالتالي إمكانية الحكم فلا يمكن وفقا لنظريتهم أن نحكم على سقراط بأنه إنسان ، بل نحكم على سقراط بأنه سقراط وعلى الإنسان بأنه إنسان .

ولقد أحاطت محاورة ثياتيتوس بكثير من القضايا – التي أثيرت في المحاورات المتأخرة سواء عند أفلاطون أو عند معاصريه خاصة من خلال التعريفات الرئيسية الثلاثة للعلم التي وردت بهذه المحاورة .

خلاصة المناقشة حول العلم

وتكون التعريفات الثلاثة للعلم المذكورة في هذه المحاورة أقسام المحاورة الرئيسية ، وخلاصة هذه التعريفات الثلاثة أن العلم إحساس من ، ١٥١–١٨٧ ب وأن العلم هو حكم صادق ١٨٧ ب –٢٠١د وأن العلم هو حكم صادق أو ظن صادق مصحوب بتفسير عقلي أو ببرهان ٢٠١و –٢١٠ أ .

التعريف الأول للعلم :

يستنفد عرض هذا التعريف ومناقشته الجزء الأكبر من المحاورة ، فهو على حد قول الأستاذ أوجست دييز [11] أكثرها درامية وحيوية وهو يستنفد ٣٦ صفحة مقابل ١٤ و٦ صفحات في نشرة هنرى اتين . والأجزاء الرئيسية لهذا القسم تتلخص في جزء هو عرض النظرية من ١٥١ الى ١٦٠ وجزء نقدى من ١٦٣ إلى ١٨٧ ويفصل بينهما استطراد يتدخل فيه ثيودروس بالمناقشة ويبدأ ثياتيتوس بعرض تعريفه للعلم episeme بأنه إحساس«aisthesis ويرتبط هذا التعريف بنظرية بروتاجوراس التي تتلخص في عبارته الشهيرة : «الإنسان مقياس كل شيء» . ومعنى هذه العبارة أن ما يبدو للفرد أو ما يحس به الفرد فهو صحيح الوجود بالنسبة له ، وتستند هذه النظرية إلى فلسفة أقراطيلوس القائلة بالصيرورة المستمرة والسيلان الدائم ، وعلى أساس هذه النظرية التي تسلم بالصيرورة الدائمة يمكن تفسير الإحساس أنه حركة مزدوجة،

(11) A. Diés. Théétète. Ibid. Notice. p. 130.

حركة في العضو الحاس كالعين وحركة أخرى صادرة عن الواقع الخارجي أو المحسوس وبالتقاء الحركتين السابقتين تتولد حركتان أسرع من الحركتين السابقتين عليهما هما حركة العين الرائية واللون المرئي ، ومثل هذه النظرية يتبن لنا أن كل ما يظهر من أشياء ليس سوى أحداث ناتجةمن تفاعل الحركات ، وقد رجع أفلاطون إلى هذه النظرية في محاورة تيماوس عندما كان بصدد تفسير الإبصار (١٢) ويلاحظ سقراط بضع ملاحظات نقدية .

وخلاصة هذه الملاحظات التي يبديها سقراط تدور حول الآتي : (١٦٠إلى ١٦٥):

أولا : إن نظرية بروتاجوراس تنتهي إلى القول بأن ما يراه الخنزير أو القرد هو صحيح بالنسبة له وأنه يتساوى في الصدق برأى أى إنسان ما دامت هذه الكائنات تحس وتدرك .

ثانيا : لن يكون لرأى ما أفضلية على رأى آخر ، وبناء على ذلك فلا يمكن لنا أن نعتقد في صدق رأى بروتاجوراس نفسه أو اعتباره أفضل من رأى أى واحد من تلاميذه.

ثالثا : سوف تتناقض نظرية بورتاجوراس الحسية مع ما نلاحظه من أن من يسمع لغة وهو لا يعرف معناها فهو رغم إدراكه للأصوات لا يدرك المعاني، ومن جهة أخرى إذا افترضنا أن رأى أحد ما منظرا ثم أغمض عينيه فلا ريب أنه سوف يتذكر الصورة ، الأمر الذى يثبت أن التذكر – وهو شيء مختلف عن الإحساس – ينطوى على معرفة .

وعندما يأخذ سقراط على عاتقه مهمة الدفاع عن نظرية بروتاجوراس لأنه – فيما يزعم – لو كان حاضرا لرد على هذه الاعتراضات (١٦٦-١٦٨) يقول: انه يمكن للشخص نفسه أن يعرف ولا يعرف الشيء نفسه ، ذلك لأن الإنسان ليس ذاتا واحدة ، بل هو عدد لا نهائى من الذوات، ولكل ذات من هذه الذوات إحساسها الفردى الحقيقي بالنسبة لها ، لكن إذا لم يكن يوجد اختلاف بين الأفراد فيما يتعلق بما يحصلون عليه من حقائق لأن لكل حقيقته النسبية إلا أن هناك اختلافا في قيمة معرفتهم ومدى

(12) Plat., Tim 45-46.

نفعها ذلك لأن حال الفكرة كحال النبات لا يجوز أن يتفاوت قدر أى كائن منهما عن الآخر في الوجود ، بل يفوق بعضه البعض الآخر في الصحة أو في النفع . ونحن نلاحظ تبعاً لذلك أن الحكيم أو المزارع أو الطبيب أو الخطيب يعرف كل واحد منهم كيف يستطيع أن يعكس الحالات السيئة بحالات أصح حين يستبدل بالميول أو الإحساسات أو الأفكار المريضة اتجاهات وإحساسات وآراء أكثر منهما استواء ونفعا ، كذلك الحال بالنسبة للمدينة يكون الأصح لها هو الأكثر قيمة . ويلاحظ أن نظرية العلاج الواردة هنا تذكرنا بما ورد في محاورة المأدبة [١٣] غير أنه لا يظهر أن أفلاطون قد استلهم نظريات الطب هنا بقدر ما استلهم نظريات السفسطائيين ذوى الاتجاهات العلمية البرجماتية .

أما سقراط فيقدم رده على ذلك النقد الذى تبرع به لصالح بروتاجوراس (١٧٠-١٧٩) ويقدم أول محاولة لنقد المذهب البرجماتى ويذكر اعتراضين يفصل بينهما استطراد يشير فيه إلى أفضلية حياة التأمل والفكر على الحياة التي تسعى إلى الكسب العملي .

والاعتراض الأول يتلخص في أن كل فرد منا يسلم بأنه يعرف حقيقة بعض الأشياء ويجهل حقيقة بعضها الآخر ، وما دام هذا اعتقادًا عند الإنسان فهذا الا عتقاد صحيح وفقا لمبدأ بروتاجوراس، ولكنه من جهة أخرى يدحض مبدأ بروتاجوراس ، إذ يبين في الوقت نفسه أن رأى الفرد ليس دائما هو المقياس لحقيقة كل شيء . وكثيرا ما يظهر أن الأصلح بالنسبة للفرد وللجماعة ليس ما يعتقده الفرد ولا الجماعة وإنما ما يعتقده الخبير في الأمور المتعلقة بهم ولذلك فإن استبدال بروتاجوراس الحق بالنافع أو المفيد هو قول خاطئ ،لأن النافع والمفيد يحتاجان إلى معيار يقاسان به وهنا يستطرد سقراط إلى الحديث عن حياة التأمل الفلسفى وهو وصف مقابل لذلك الوصف الساخر الذى ساقه على لسان كاليكليس في محاورة جورجياس (٤٨٢ -٤٨٦) ٤٨٦) التي ذم فيها حياة التأمل والفكر ، وبين سقراط هنا على عكس ما سبق ذكره في محاورة جورجياس كيف يعد الفيلسوف حرا إن قورن برجل الحياة العملية. إنه حر فى

(13) Plat., Symp. 186.

أن يبذل للحقيقة ما يشاء من وقت، حر فى أن يحلق بفكره إلى أى أبعاد يود التحليق فيها ، أما رجل المنفعة العاجلة واذا ما تعلق الأمر بالسعادة الحقة وبالغاية القصوى بدا أضحوكة أمام الناس ، ولذا فقد انتهى أفلاطون إلى تعريف الفلسفة بذلك التعريف الشهير الذى أخذ عنه طوال العصور الوسطى من أن الفلسفة هي التشبه بالآلهة بقدر الطاقة الإنسانية . ثم يعود سقراط بعد هذا الاستطراد إلى تقديم بقية نقده لقضية بروتاجوراس التى تتلخص (١٧٦-١٧٩) في القول بأن إحساس الإنسان هو المقياس، يقول في معرض نقده لها : إننا إذا تناولنا معتقدات كل إنسان فينبغي أن نفرق بين معتقدات حاضره ومعتقدات تتعلق بالتنبوٌ بالمستقبل ، وفيما يتعلق بالمعتقدات التي تقع على المستقبل لا يمكن لأحد أن يشك في أن تقدير الخبير يكون أصدق وأكثر من تقدير العامة ، فتقدير الشفاء من مرض معين لا يرجع إلى رأى المريض ولا الى رأى أى إنسان من الناس ، بل يرجع إلى الطبيب الذى يكون رأيه بهذا الصدد أكثر رجحانا وأصدق احتمالا .

وبهذا ينتهي سقراط من توجيه نقده لقضية بروتاجوراس ويبقى عليه أن ينتقل إلى نقد رأى هرقليطس (١٧٩-١٨٤) وهو الأساس الميتافيزيقي لنظرية المعرفة عند بروتاجوراس .

ويرجع سقراط مصدر هذه النظرية في الحركة الشاملة للوجود إلى شعراء الكوزمولوجيا القدماء أمثال: هوميروس وهزيود وأورفيوس ، وهي تنسب لهرقليطس وأتباعه وقد ترتب على هذه النظرية أن رفض إقراطيلوس الكلام (٣٨٤) لأنه لا يلاحق التغيير المستمر في الأشياء ، أما عن معنى الحركة عند هؤلاء فيتضمن أن كل شيء في الوجود يخضع لنوعين من الحركة النقلة في المكان Locomotion وحركة التحول في الصفات أو الاستحالة alteration ولكن لو كان كل شيء عرضة لحركة مستمرة فسوف يترتب على ذلك أن تصبح اللغة مستحيلة ، لأننا لا يمكن أن نطلق اسمًا على شيء ما طالما لم يكن لهذا الشيء استمرار في الوجود ، ومن جهة أخرى فإن الإحساس الذى سبق أن فسرناه على أساس التقاء الحركتين ، حركة الإحساس وحركة الصفة المحسوسة سرعان ما يتحول إلى ضده فلا يصبح إحساسا، فإذا افترضنا كما يفترض

بروتاجوراس أن الإحساس معرفة فإن المعرفة بدورها بناء على قضية التغير الشامل سرعان ما تتحول إلى لا معرفة.

والنتيجة النهائية تبين لنا فشل التعريف الأول المستمد من نظرية التوحيد بين العلم والإحساس ، ومن نظرية الإنسان المقياس عند بروتاجوراس ونظرية التغير الشامل عند هرقليطس بل سوف يتضح لنا فضلا على كل شيء أن مجرد محاولة وضع تعريف للعلم لاغية ، بناء على منطق هذه النظريات .

ويضيف سقراط بعد ذلك (١٨٤-١٨٦) تعليقا على طبيعة المعرفة بين فيه قدرة النفس على القيام بعمليات التأليف والمقارنة فيقول : إن الإحساسات التى تصلنا من العالم الخارجي ليست متراصة بداخلنا كجنود هوميروس في باطن حصان طروادة الخشبي بل يوجد في أنفسنا مركز ، وظيفته التفكير في الموضوعات المشتركة أى يقوم بعمليات القياس والاستنباط التي لا يمكن للإحساس أن يدركها كتصورات العدد ، ومن ثم فالفكر يستعمل الحواس كما لو كانت آلات organes ولكنه يتجاوز معطيات الحواس عندما يقوم بوظائف المقارنة .. والتجريد والاستدلال العقلي وينتهي من ذلك بأن ما نراه بالعين ينبغي أن يأتلف مع ما نسمعه بالأذن أو نلمسه باليد ولا يقوم بعملية هذا التنسيق والارتباط إلا العقل وهذه العملية الاستدلالية تنتهي إلى حدوث ما يسميه أفلاطون بالحكم أو حدوث رأى أو ظن Doxa-Opinion وقد سبق أن أفادت هذه الكلمة عند أفلاطون معنى الظن الذى يقابل العلم اليقينى episteme لكن الحكم أو الظن قد يكون خاطئا أو صادقا ولذا فإن سقراط يشترط لكي يكون الحكم علماأن يكون صادقا .

فهل يجوز أن نعرف العلم بأنه الحكم الصادق ؟ إن هذا السؤال هو موضوع التعريف الثاني للعلم (١٨٧-٢٠٠) .

التعريف الثاني : العلم والحكم الصادق :

تفسر كلمة يظن أو يحكم Doxazein عند أفلاطون بأنها تعنى الوصول إلى رأى معين نتيجة الشواهد المحسوسة وهو ما يحدث عادة في عقول القضاة بعد سماعهم للخطابة القضائية؛ ولذلك فهو ظن أو رأى ينتهي إلى حكم صامت داخلي Opiner-Juger

على حد تفسير الأستاذ أوجست دييز [١٤] ويقول تيلور الفيلسوف الإنجليزى الشهير بدراساته عن أفلاطون [١٥] في ترجمته لهذه اللفظة اليونانية أنها ظن belief أو حكم Judgment ، وإنها في المحاورات السابقة كانت أقرب إلى أن تكون ظنا لأن في الظن احتمال الصواب والخطأ ، أما في هذه المحاورة – كما في أغلب المحاورات المتأخرة – فتتخذ الكلمة معنى الحكم judgment بغير أن يتضمن معناها أية إشارة تفيد التردد وقد استعملت في الترجمات الأوروبية بمعنى حكم تارة وظن تارة أخرى وذلك بحسب السياق الذى ترد فيه .

لكن إن افترضنا أن العلم هو حكم صادق فلابد أولا أن نفسر ما هو الحكم الخاطىء ، لأن الحكم يحتمل الخطأ والصواب .

فهل يكون الحكم الخاطئ هو الخلط بين شىء نعرفه وشىء آخر نعرفه – أيضا– أو هو الخلط بين شىء نعرفه وآخر لا نعرفه ؟ ولكن من الناحية الموضوعية نحن لا نستطيع أن نخلط بين ما هو موجود وما هو غير موجود ، لأن التفكير في ما ليس موجودا لا يكون تفكيرا على الإطلاق ، ومن جهة أخرى لا نستطيع أن نخلط بين ما هو موجود وما هو موجود لأن تساوى وجود الموضوعين في الوعي لا يؤدى إلى الخلط بينهما ، لذلك يلجأ أفلاطون إلى تفسير سيكولوجي للحكم الخاطئ فيرى أن مصدر الخطأ في الحكم يرجع إلى الذاكرة التي تشبه لوحة من الشمع تنطبع عليها المدركات ، وبمرور الزمن تتحول هذه المدركات إلى آثار مبهمة ، فإذا أراد الإنسان أن يطابق بين انطباع جديد والانطباع السابق وجوده في الذاكرة فقد يخطئ ، غير أن الخطأ يقتصر على عدم المطابقة بين الإدراك الحسى والذاكرة بل يمكن أن يقع في مجال التفكير المجرد مثلا عندما نخطئ فى عمليات الجمع كأن نقول : إن ٥+٧=١١ لكن يمكن تفسير وقوع هذا الخطأ بأن نشبه الذاكرة بقفص نحتفظ فيه بعدد من الطيور فنحن نقتني هذه الطيور طالما ظلت في القفص ، لكن يمكن لنا إذا شئنا أن نمسك بأى منها فنجعله في قبضة يدنا .

---

(14) A. Diés- Autour de Platon. Paris 1926 p. 460.
(15) A.E. Tylor. Plato-The Man and his work. London 1952.

فالطيور التي تتطاير في القفص ترمز للعلوم في ذاكرتنا والطائر في قبضتنا رمز للعلم لحظة تفكيرنا فيه وقد نخطئ العلم المقصود بعلم آخر إذا ما أطبقنا بيدنا على طائر غير الطائر المقصود .

ويعتمد هذا التشبيه عند أفلاطون على التفرقة بين معنى الاقتناء To possess possedér يقتني الإنسان ثوبا ولا يلبسه وبين الامتلاك الفعلي الذى يعنى أن يستعمل الإنسان ما يمتلكه «أو ما هو في يده» having it in use- avoir ولكن يبدو أن نتائج هذا التفسير لا تكون مقنعة لأننا نفسر الخطأ هنا بواسطة العلم ، فبسبب وجود العلم نقع في الحكم الخاطىء ، أى نحن أخطأنا س و ص من العلوم ، لأننا نملك علما بهما ، ولهذا يفشل هذا التعريف الثاني الذى يوحد بين العلم والحكم الصادق ولأن التجربة اليومية تبين لنا أن الحكم الصادق حين يحدث خاصة عند القضاة في المحاكم، إنما يحدث بتأثير من الخطباء وبغير أن يستلزم وجود علم سابق ، لذلك ينتقل سقراط إلى البحث في التعريف الثالث للعلم .

التعريف الثالث :

العلم حكم صادق أو ظن صادق مؤيد بالبرهان أو التفسير العقلي

(Opinion vraie accompagnée de raison) (٢٠١-٢٢٠) Logos:

يقدم ثياتيتوس هذا التفسير على أنه قد سمع به من قبل ويقدم سقراط شرحه على هذا التفسير . ولكن البرهان Logos المضاف إلى الحكم لا يقع على العناصر الأولية البسيطة stoicheia التي تدخل في تكوين المركبات – فالعناصر لا يمكن تعريفها ولا معرفتها ولا إدراكها [١٦] .

وعلى العكس من ذلك تكون المركبات التي تتصف أنها تقبل البرهان والتفسير العقلي ، فمثلا عندما نتناول مركبات مثل مقاطع اللغة ونحللها إلى الحروف التي تتركب منها عندئذ يمكن أن نقول إننا نضيف إلى الحكم الصادق تفسيرا عقليا وبرهانا

(16) aloga-agnosta-astheta.

Logos ولكن هناك نقدا يوجه إلى هذا التعريف إذ كيف نعرف العناصر الأولية التي يتركب منها ؟ وثانيا ما معنى اللوغوس :

أولا : تعني كلمة لوغوس Logos اللغة التي تعبر عن الفكر بواسطة الأسماء والأفعال وكل إنسان ما عدا الأصم والأبكم قادر عليها بغير أن يتوفر له العلم .

ثانيا : تعني تحليل المركب إلى عناصره وحصرها ، ولكن حتى الطفل الصغير يستطيع أن يحصى لنا الحروف ولا يصل مع ذلك إلى العلم.

ثالثا : هل يكون اللوغوس الخاصة المميزة diaphota the differentia أى الصفة التي تميز الشىء عن باقي الأشياء الأخرى؟

لكن الظن الصادق يفترض ضمنيا معرفة هذه الخاصة المميزة ، أى لو كان لدينا ظن صادق عن ثياتيتوس فنحن نعرف بالتالي ما يميزه عن غيره ، واشتراط إضافة المعرفة بالخاصة المميزة للظن الصادق لكي يتحول إلى علم لا يعني إلا أننا لكي نعرف ما هو العلم ينبغي علينا أن نضيف العلم خاصة إلى الظن الصادق الموجود لدينا وهذا معناه الوقوع في دائرة مفرغة ، أى التعريف بالمعرف .

كذلك تنتهي المناقشة ظاهريا إلى نتيجة سلبية حين يتضح أن العلم يختلف عن الإحساس كما يختلف عن الحكم الصادق المؤيد بالبرهان . ولكن الذى لا شك فيه أن هذه المحاورة حين بينت ما ليس هو العلم فقد أشارت ضمنيا إلى حقيقة المعرفة العلمية ذلك لأن النقاش الذى دار فيها كان يتناول موضوعات ليست هي في الحقيقة الموضوعات الصالحة للمعرفة العلمية عند أفلاطون ، فالعلم الذى يقصده أفلاطون ليس العلم بالجزئيات ، بل العلم بالمثل أو الحقائق الكلية المعقولة وهذا ما استهدفه أفلاطون في المحاورة التالية وهي محاورة السفسطائي غير أن سقراط لا يكتئب إن لم يصل مع ثياتيتوس إلى نتيجة إيجابية ، لأنه على الأقل قد وصل بثياتيتوس إلى مرحلة من النضج الفكرى تجعله لم يعد يدعي المعرفة بما لا يعرف ..

قال الحكيم في نهاية المحاورة : «فإن حاولت بعد كل ذلك يا ثياتيتوس أن تتصور من جديد وتصورت فإنك سوف تمتلئ بأفكار أفضل بعد أن تطهرت بالبحث الحالي ، أما على العكس من ذلك إن بقيت خاليا من الأفكار فسوف تكون أخف ظلا على

من ترافقهم وأكثر تهذيبا لأنك بحكمة ما لن تتخيل مطلقا أنك تعرف مالا تعرف ، إن في هذا وحده تتلخص كل قوة فني ، ولست أعرف شيئا مما تعرفه كل هذه العقول الفذة المدهشة في أيامنا هذه وفيما سبق

حقا ، ما أصدق ما نطق به سقراط من الحكمة ، حكمة أهديها إلى أبنائي طلاب العلم الذين أدعو الله أن يقيهم سوء الادعاء والغرور ويهبهم من خلق العلماء ما يرفعهم إلى المستوى اللائق بمعايشة هؤلاء العظماء الذين أناروا للإنسانية طريق الرشد منذ فجر التاريخ

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذا النص بوضوح للقارىء العربي ، وهو نص من أكثر نصوص الفلسفة القديمة معاصرة اليوم .

أميرة حلمي مطر

ثياتيتوس
أو-عن العلم -
أوقليدس- تربزيون

أوقليدس:(١) ألست الآن قادما من الريف أى تربزيون ؟ أم قد مضى على رجوعك وقت طويل؟ ١٤٢

ت : رجعت منذ فترة طويلة. وكنت أبحث عنك فى ساحة المدينة (الأجورا) ودهشت أنى لم أتمكن من لقائك.

أ : ذلك لأنى لم أكن بالمدينة.

ب : أين كنت إذن ؟

أ : كنت فى طريقى إلى الميناء، حيث قابلتهم يحملون ثياتيتوس من معسكر كورنثة إلى أثينا.

ت : حيا أم ميت ؟

أ : كاد يلفظ آخر أنفاس الحياة إذ أنه كان مصابا بإصابات خطرة. وفضلا على جراحه كان يتألم من تلك العدوى التى انتشرت بين الجيوش.

ت : هل هى الدوسنتاريا؟

أ : أجل.

ب : أية خسارة كنا سنلقاها بفقدان هذا الرجل الذى تذكره.

أ : رجل شهم نبيل أى تربزيون، حيث إنى سمعت حالا ثناء عطرا على مسلكه فى المعركة.

ت : ليس فى هذا الشىء عجيب، العجيب ألا يكون كذلك ولكن-لِمَ لمْ يأت ليستريح فى ميجارا ؟

---

(١) (أ) تشير إلى إقليدس و(ت) تشير إلى تربزيون.

أ : لقد كان مسرعا فى العودة إلى بيته، وقد دعوته ونصحته فلم يوافق، فرافقته، وفى عودتى تذكرت باندهاش تلك النبوءة التى كان سقراط قد تنبأها له قبل موته بفترة قصيرة. فقد قابل سقراط ثياتيتوس الذى لم يكن قد تجاوز بعد سن الصبا وتحدثا فأعجب سقراط به إعجابا شديدا، ولما زرت أثينا روى لى ما جرى بينهما من حديث وهو حديث جدير بأن تسمعه، وأكد لى أن هذا الصبى سوف يكون ذا شأن كبير إذا ما بلغ مبلغ الرجل.

ت : يبدو أن ما كان سقراط يذكره كان حقا، لكن ما حقيقة هذا الحديث الذى دار بينهما؟ وهل يمكنك أن ترويه على ؟

أ : كلا والله، فالذاكرة لا تسعف، لكنى قد دونت ذكرياتى مباشرة تو رجوعى إلى بيتى، وبعد ذلك بفترة، وفى وقت فراغى كنت أدون ما أتذكره، وكنت فى كل مرة أعود فيها إلى أثينا أسأل سقراط من جديد عن كل ما كان يفلت من ذاكرتى وكنت أراجع عملى كلما عدت إلى هنا، وبذلك تم على وجه الإجمال تدوين الحديث. ١٤٣

ت : حقا، فقد سبق لى أن سمعتك ترويه وكنت أنوى دائما أن أسألك إن ترينى إياه رغم أنى قد أجلت ذلك حتى هذا الوقت. ولكن ما الذى يمنعنا من أن نراجعه الآن؟ فإنى بحاجة لأن أستريح بعد أن قدمت الآن من الريف.

ر : وهذا يوافقنى لأنى بحاجة – أيضا – إلى الراحة بعد أن سرت حتى إرينوس مع ثياتيتوس. ولنرجع إلى البيت وليقرأه علينا غلامى أثناء استراحتنا.

ت : حسنا جدا.

منهج كتابة المحاورة :

أ : هاك الكتاب يا تربزيون ، وعلى أى حال ، فقد دونت الحديث لا بأسلوب الرواية بل بأسلوب المحاورة كما سمعته من سقراط ومن كانوا يتحدثون معه وهم ثيودروس عالم الهندسة وثياتيتوس وقد آثرت ذلك الأسلوب كى أتجنب الاضطراب الذى ينشأ فى الكتابة عند إقحام عبارات الراوئ التى يذيل بها

سقراط شرحه مثل قوله: « وقد ذكرت» أو «وقد قلت» ورد محاوره ووافقه أو «لم يبغ الموافقة» فهذا هو السبب الذى من أجله قد جعلت من كتابتى حوارا مباشرا بين سقراط وبين محاوريه وتخلصت من كل هذه العبارات.

ت : وإنك لم تفعل إلا ما هو صواب يا أوقليدس.

أ : لتأخذ الكتاب ولتقرأ ياغلام.

(الحوار : سقراط وثيودورس وثياتيتوس)

وصف ثياتيتوس :

س [٢]: لو كنت أعنى بأهل قورينائية يا ثيودوروس لسألتك أنباء ما يجرى هناك من أمور ، وعن رجال وعم إن كان من بين الشباب هناك من يبذل جهده فى علم الهندسة أو فى باقى فروع الفلسفة، لكنى أولى اهتماما أكبر لمن هم هنا على من هم هناك من الشباب. ولذا فإنى شديد الرغبة فى معرفة مَنْ مِنْ شبابنا ينبئ عن تميز فى هذه الموضوعات. فهذا هو ما أفحصه بنفسى وبقدر استطاعتى وأسأل عن هذه الأمور من أراه محط أنظار شبابنا.

وإن المجموعة التى تلتف حولك لكبيرة وإنك لأهل لذلك إذ فضلا على مواهبك العديدة فإن علمك بالهندسة يجعلك أولى بهذا الاهتمام، فإذا وجد بينهم شاب جدير بالذكر فإنك تسرنى لو أخبرتنى عنه.

ثيودورس: الحق يا سقراط ، إن اهتمامك يصادف موضوعا جديرا به إذا ذكرت لك الصفات التى وجدتها فى شاب من مدينتك، وقد كنت أخشى الحماسة فى الحديث عنه لو كان وسيما حتى لا أتعرض لتهمة التورط فى محبته–لكن لتسامحنى–فهو ليس وسيما إذ أنه يشبهك بأنفه الأفطس وعينيه الجاحظتين وإن لم تكن ملامحه بوضوح ملامحك، وعلى ذلك فليس بى أى وجل من الكلام عنه–ولتعلم أنه من بين كل من استطعت مقابلتهم–وعددهم أكبر ممن أتعامل معهم–لم ألحظ عند أحد منهم طبيعة أفضل من طبيعته– فهو ١٤٤

(٢) س : سقراط.

مع سرعة تعلمه بشكل لا مثيل له يتصف بالهدوء الشديد ثم يجمع إلى ذلك الشهامة التى لا نظير لها ولا أظن أنه من الممكن أن تجتمع كل هذه الصفات لشخص واحد لأن الملاحظ عموما أن من لهم هذه الفطنة وهذا الذكاء الحاد وهذه الذاكرة يتصفون بميل عنيف للغضب وهم بسرعة يتحدون فى ثورات كقوارب بلا أشرعة وفى طبيعتهم اندفاع يربو على ما فيهم من شجاعة، أما من هم أكثر هدوءا فهم يتجهون إلى الدراسة ببطء وتمهل متثاقلين ومعرضين للنسيان، أما هو فإنه يتجه إلى الدراسة والبحث بهدوء ونفاذ سريع إلى المشكلات ويصمت أشبه بسريان الزيت الذى يمكنه من الوصول إلى هذه الإنجازات التى توصل إليها [٣].

س : هذه أنباء مشوقة، فهو ابن من فى مدينتنا؟

ت : قد سمعت الاسم لكن لا أذكره الآن ، ومع كل فها هو قادم ضمن أولئك الثلاثة المتجهين نحونا، ففى هذه الساعة يأتى عادة هو وزملاؤه إلى الملعب الخارجى ليتدلكوا بالزيت، ويظهر الآن أنهم قد انتهوا من التدليك وأنهم قادمون إلى هنا، لتتفحصه قليلا لعلك تعرفه.

س : أجل ، إنى أعرفه ! إنه ابن أوفرونيوس من سونيون، رجل على مثل الخلق الذى وصفت به الابن تماما يا صديقى – وهو معروف أيضا وقد ترك ثروة كبيرة– أما عن اسم الشاب فلست أعرفه.

ت : ثياتيتوس ، ياسقراط، هذا هواسمه، أما عن ثروته فأظن أن بعض الأوصياء قد قضوا عليها، ومع ذلك فإن كرمه فى مسائل المال لهو سمة من سماته المدهشة يا سقراط.

س : يبدو أنه من عنصر نبيل – لتدعه إلينا ليجلس هنا معنا.

ت : سوف أفعل على التو. أى ثياتيتوس. . إن لك دعوة هنا عند سقراط. .

س : أجل ، يا ثياتيتوس. فهكذا يمكننى أن أرى نفسى وجها لوجه فأعرف شكلى لأن ثيودورس يؤكد أنى أشبهك.

---

(٣) فى محاورة القوانين ينشد أفلاطون تحقيق هذا التوازن فى طباع الفلاسفة، انظر محاورة القوانين ٧٧٣–و.

ولو فرض أن كان مع كل منا قيثارته وأن ثيودورس قد أخبرنا بأنهما قد ضبطتا على الصوت نفسه أكنا نصدقه أم كنا نفحصهما لنختبر معرفته بالموسيقى التى تبيح له مثل هذا الكلام؟

ثـيـا : كنا نقوم بهذا الاختبار . .

س : فإن وجدناه خبيرا أوليناه ثقتنا وإن لم يكن ألا نسلبه إياها؟

ثـيـا : بالضبط.

س : والآن، أظن إن كان هذا التشابه فى المحيا يثير اهتمامنا ألا يتعين علينا أن نختبر إن كان يتحدث أيضا حديث الخبير فى التصوير ؟

١٤٥

ثـيـا : هذا ما أعتقده.

س : هل يمكن أن يكون ثيودورس مصورا؟

ثـيـا : كلا على حد ما أعلم

س : ولا أيضا عالم هندسة ؟

ثـيـا : نعم هو كذلك بكل تأكيد يا سقراط.

س : وفلكيا وعالما بالحساب وموسيقيا وأستاذا فى باقى فروع الثقافة؟

ثـيـا : أجل أظنه كذلك.

س : فعندما يقرر أن بيننا تشابها جسمانيا سواء كان هذا حقا أو باطلا فهل يستحق كلامه اهتمامنا ؟

ثـيـا : ربما لا . .

س : ولكن لنفرض أنه مدح فضيلة نفس أحدنا أو حكمته، أليس من الواجب على من يسمع هذا المديح أن يسرع إلى فحص الممدوح، وعلى من يمتدح أن يسرع بدوره إلى اكتشاف حقيقة نفسه(٤)

ثـيـا : أجل بالتأكيد يا سقراط.

س : والآن إذن، يا عزيزى ثياتيتوس ، عليك أن تكتشف نفسك وعلىّ أن أفحص،

---

(٤) يتضح هذ الرأى – أيضا – فى محاورة خارميدس (١٥٧–١٥٩) إذ يتبع وصف جمال خارميدس بالثناء على حكمته– ولتحقيق هذا الثناء تبدأ محاولة تعريف الحكمة.

ولتعلم جيدا أن ثيودورس الذى ذكر أمامى مديحا لغرباء وأثنيين لم يمتدح أحدا مديحا مثل الذى وجهه إليك.

ثـيـا : إنه لشرف كبير ، يا سقراط ، لكن ربما قال ثيودروس هذا على سبيل المزاح !

س : ليس هذا ما يميل إليه ثيودورس، ولا تحاول سحب موافقتك بزعم أنه كان يمزح، إذ سوف يترتب على ذلك أن يحضر ليقسم لك على هذا رغم أن أحدا لا يمكن أن يشك فى صدق كلامه فلتثق بكلامه وتتمسك بموافقتك.

ثـيـا : سوف أفعل ما تراه.

س : والآن لتُجب علىَّ، هل تتعلم الهندسة على يَدىَّ ثيودورس ؟

ثـيـا : أجل

س : والفلك والموسيقى [*] والحساب - أيضا ؟

ثـيـا : إنى أجتهد فى ذلك.

س : وأنا - أيضا - يابنى أفعل ذلك معه ومع غيره ممن أتوسم فيهم المعرفة بأى موضوع من هذه الموضوعات، غير أنى وإن كنت على ثقة من معرفتى بها عموما إلا أنى أشك فى بعض التفصيلات التى أود أن أدرسها معك، ومع من هم هنا - ولتخبرنى أليست الدراسة أن تصير أكثر حكمة فيما تدرسه ؟

ثـيـا : بكل تأكيد.

س : أليس بالحكمة Sophia يصير الحكماء حكماء ؟

ثـيـا : بلى

س : وهل يختلف هذا عن العلم ؟

ثـيـا : كيف يمكن هذا ؟

س : أو ليس العالم بالشىء هو الحكيم ؟

ثـيـا : بكل تأكيد .

س : أليس العلم والحكمة شيئا واحدا ؟

ثـيـا : بلى

---

(٥) كان علم الهارمونى، أو توافق النغم الموسيقى، فرعا هاما من فروع دراسة الرياضيات.

س : إن الذى يحيرنى ولا أستطيع أن أتصوره جيدا بذاتى يتلخص فى سؤال، فيم ١٤٦ يتلخص العلم؟ هل يمكنا الإجابة على هذا السؤال ؟ وما الذى تقولونه؟ من منا سوف يبدأ الكلام ؟ ولكن علي المخطىء أن «يركع كالحمار» على حد قول الصغار حين يلعبون بالكرة. أما من ينجح فى هذا ولا يخطئ فسوف نتوجه ملكا علينا ، وليفرض علينا إجابة ما يروق له من أسئلة. ولكن لم هذا الصمت؟ هل جعلنى الحوار ياثيودورس فظا رغم أنى متعجل فى أن أنشىء من الحوار الدائر بيننا أواصر صداقة واتفاقا متبادلا بيننا ؟

تيودورس: ليس تعجلك هذا غلاظة ، يا سقراط ، ولكن عليك أن تطلب الجواب على هذه الأسئلة من أحد هؤلاء الشباب، اذ ليس لدى المقدرة على هذا النوع من الأحاديث اذ قد فاتنى تحصليه، وإنما يناسبهم ذلك وهم يستفيدون منه فائدة كبيرة. **حقا إن الشباب لقادرون على التقدم فى كل شيء** لقد حادثت ثياتيتوس فلا تتركه ولتواصل أسئلتك.

س : أتسمع يا ثياتيتوس ما يقوله ثيودورس، وأظنك لا ترغب فى مخالفته إذ سيكون من الخطأ الشديد ان يخالف الأصغر طلب الحكيم الأكبر منه. هيا قدم إجابة جيدة وصريحة، أي شيء يبدو لك أنه العلم؟

ثـيــا : يجب علينا الطاعة ، يا سقراط ، ما دمت قد أمرت بذلك وإذا أخطأت فعليك أن تقومنى.

س : بكل تأكيد خصوصا ما دمنا قادرين.

ثـيــا : إنه يبدو لى، أولا، أن كل ما يمكن أن نتعلمه من ثيودورس هو العلم، كالهندسة وكل العلوم الأخرى التى ذكرتها الآن، ثم هناك فنون مثل فن الإسكافية وكل فنون الصناع الآخرين سواء أخذتهم على الإجمال أو واحدا واحدا فهى فى رأيى كلها علوم.

س : إجابة حسنة سخية، يا صديقى. . نسألك سبباواحدا فتعطينا الكثير، وتمنحنا المركب بدلا من البسيط.

ثـيـا : ماذا تعنى، يا سقراط ؟

س : ربما لا شيء، ومع ذلك سوف أشرح لك فكرتى، إنك تقصد بفن الإسكافية العلم الذى يعلمنا كيف نصنع الأحذية ؟

ثـيـا : هو بالضبط .

س : وبالنجارة العلم الذى يعلم صناعة المصنوعات الخشبية.

ثـيـا : وهذا – أيضا – صحيح.

س : وعلى الحالين فإنك تعرف الموضوع الذى تكون الصنعة علما به .

ثـيـا : أجل هو كذلك.

س : ولكن الذى سألناك عنه ياثياتيتوس لم يكن هذا – لا موضوعات العلوم ولا ما عدد العلوم[٦] لم تكن الفكرة التى نسألك عنها أن تحصى لنا العلوم، بل أن تعرف ما هو العلم فى ذاته، أليس لملاحظتى هذه معنى؟..

١٤٧

ثـيـا : على العكس، إنها صحيحة تماما.

س : لنبحث إذن فى هذه النقطة، لنفرض أننا سئلنا عن شيء تافه بسيط، مثلا ما هو الطين؟ ألا يكون من السخف أن نجيب بأنه يوجد طين لصانعى الفخار وطين لبنائى الأفران وطين صانعى الطوب ؟ ألا نتعرض فى هذه الحال للسخرية؟؟

ثـيـا : هذا جائز.

س : والذى يدعو للسخرية ، قبل كل شيء ، أن تظن المتحدث سوف يفهم شيئا ما إذا ذكرنا له بالإضافة إلى كلمة الطين اسم صناع الدمى أو آخرين غيرهم فى إجابتنا–هل تظن أننا نفهم شيئا من سماع اسم ما لا نعرف ما هو موضوعه.

ثـيـا : كلا أبدا.

س : إذن فلن نفهم شيئا من كلمات «علم الإسكافية» ما دمنا لا نعرف ما هو العلم ؟.

ثـيـا : كلا طبعا.

---

(٦) تقارن هذه المحاولات المبدئية بالمحاولات التى قدمت بهذا الصدد فى محاورة مينون عند تعريف الفضيلة(مينون ٧١–٧٧) ويبدأ ثياتيتوس يحصر العلوم، ولكن سقراط يطالبه بذكر مثال واحد للتعريف فيقدم ثياتيتوس تعريفه للجذور التربيعية.

س : ولن نفهم ماذا يعنى علم الإسكافية ولا أى فن آخر ما دام ليس لدينا أى فكرة عن العلم.

ثـيـا : هذا صحيح.

س : فمن العبث إذن أن نجيب على من يسأل عن ما هو العلم بذكر اسم أى فن كان. إن الإجابة سوف تقتصر على ذكر علم معين بشىء معين، فى حين أن السؤال كان يعنى شيئا آخر

ثـيـا : هذا ما يبدو صحيحا.

س : .كذلك بعد أن قدمنا إجابة سطحية فسوف ندور فى دورة لا نهاية لها، فالسؤال عن الطين مثلا له إجابة سطحية وبسيطة، أن تقول: إن الطين هو من التراب المعجون بالماء بصرف النظر عن استخدامه.

ثـيـا : وعلى ذلك ، يا سقراط ، فإن السؤال يبدو لى الآن سهلا، إنه يشبه ذلك الذى خطر لنا، أنا وسميك سقراط عندما كنا نتحادث منذ وقت بسيط.

س : أى سؤال يا ثياتيتوس؟

مثال من الأطوال اللامتناظرة القياس[٧] LES INCOMMENSURABLES

ثـيـا : ها هو ثيودورس الذى قام بتوضيح مسائل متعلقة بالجذور التربيعية لنا، وقد بين على وجه الدقة أن الجذور التربيعية لمربعين مساحتهما ثلاثة أقدام مربعة وخمسة أقدام مربعة لا تكون أطوالها أو طول أضلاعها مضاعفات الخط الذى يمثل الواحد الصحيح أو القدم، وقد سار على هذا النهج متخذا أمثلة له من الجذور واحدا فواحدا حتى بلغ جذر المساحة المساوية لسبعة عشر قدما، ثم توقف عند هذا الحد لسبب ما، وقد خطر عندما لاحظنا إن عدد هذه الجذور

(٧) الترجمة الحرفية : غير مقيسة معا، غير مشتركة، لا تعد أو الأعداد الصماء. انظر المصطلحات العلمية للمجلس الأعلى للعلوم ١٩٦٢، مجموعة رقم ١ مصطلحات علم الرياضة ص ١٦٦.

وخلاصة الفكرة هنا ترجع إلى رد الأعداد إلى أشكال مناظرة لها ، فأعداد مربعة هى التى يناظرها مربعات طول أضلاعها أعداد صحيحة أو مضاعفات الواحد الصحيح وأعداد مستطيلة يكون الشكل المناظر لمساحتها طول أضلاعه ليست مضاعفات الواحد الصحيح، وكذلك فسر المتناظر القياس (Commensurable) واللامتناظر القياس INCOMMENSURABLE

التربيعية لا نهائى أن نصل إلى مصطلح واحد كلى يمكن أن نشير به إلى كل هذه الجذور.

س : وهل وجدتم مصطلحا مناسبا؟

ثـيـا : أظن هذا ولكن أود أن أعرف رأيك.

س : لتستمر فى كلامك.

ثـيـا : لقد قسمنا الأعداد إلى فئتين، فئة الأعداد الناتجة من ضرب عدد فى نفسه وقد شبهناها بالشكل المربع وسمينا هذا العدد مربعا ومتساوى الأضلاع.

س : حسنًا .

ثـيـا : أما أى عدد من الأعداد الأخرى مثل الثلاثة أو الخمسة أو أى عدد لا يكون حاصل ضرب عدد فى نفسه لكن يكون أحد معامليه (٨) أكبر أو أصغر من المعامل الآخر بحيث تكون أضلاع الشكل المناظر له غير متساوية فقد شبهناه بالشكل ١٤٨ المستطيل وسميناه عددا مستطيلا (٩) *

س : عظيم وماذا أيضا ؟

ثـيـا : وقد سمينا الخطوط التى تكون الجوانب الأربعة لمسطح متساوى الأضلاع (١٠) بالأطوال (١١) فى حين سمينا تلك التى تكون مساحة مربعاتها مساوية لمساحة مستطيلات فقد سميناها بالجذور(١٢) ذلك لأنها متناظرة مع الأخرى فى مساحة المسطح وليس فى طول الأضلاع ، وهناك فضلا على ذلك تمييز آخر من النوع نفسه بالنسبة للمجسمات (١٣).

س : ليس هناك أفضل من ذلك ، يا أصدقائى الشباب ، وإنى لعلى يقين من أنه لا يمكن لأحد أن يتهم ثيودورس بأنه لا يذكر الحقيقة.

ثـيـا : لكننى يا سقراط لا أقوى على إجابة سؤالك عن العلم كما أجبت على مسألة

---

* مثل ٢٥/١٦/٩/٤. وهذه أعداد لها جذر تربيعى أما الأعداد الصماء فليس لها جذر تربيعى كامل.

(8) Factor.
(9) Rectangle-oblong.
(10)equilateral.
(11) lengths
(12) surds-roots.
(13) solids.

الطول والجذر، ويبدو أنك تبغى شيئا من هذا القبيل وعلى هذا فالذى يظهر أن ثيودورس لم يكن على حق فيما قاله عني على عكس ما تقول

س : ولم يكون كذلك؟ هل إذا أخذ أحد يثنى على قدرتك فى العدو ، وأعلن أنه لم يلق مثيلا لك فى العدو ، ثم تصادف أن دخلت فى سباق مع أعظم العدائين وهو فى أوج قواه فغلبك، فهل تظن الثناء عليك قولا زورا؟

ثـيـا : كلا، لا أظن.

س : حسنًا ، فكما ذكرت الآن هل تتصور أن معرفة طبيعة العلم أمر هين ؟ أليست من أصعب الأمور؟ .

ثـيـا : أجل من أصعب الأمور.

س : لتثق ، إذن فيما ذكره عنك ثيودورس ، ولتشحذ ذهنك فى البحث عن تعريف للعلم، كما تفعل فى أى موضوع آخر وكل ما فى حوزتك من جهد.

ثـيـا : إن كان هذا يتوقف على جهدى فإن الحقيقة سوف تبرز إلى النور.

س : فإلى الأمام إذن على الطريق نفسه الذى أحسنت اختياره ولتتخذ من مثال الجذور نموذجا تحتذيه فى إجابتك وكما توصلت إلى تعريف واحد يجمع كل هذه الكثرة فلتحاول الآن أن تجد صيغة واحدة تنطبق على أنواع المعرفة العديدة.

ثـيـا : وإنى لأوكد لك ، يا سقراط ، أنى وقد حاولت مرارا ذلك البحث مدفوعا بأسئلتك التى بلغنى نبؤها، ولكننى للأسف لم أقتنع بتلك الإجابات التى توصلت إليها كما أنى لم أجد فى الإجابات التى سمعت بها الدقة التى تطلبها، ولم أتخلص بعد من حيرة المعرفة.

التوليد :

س : إنك لتشعر بآلام الامتلاء لا بالفراغ ياعزيزى ثياتيتوس. لأنك لست خاويا بل حامل.

ثـيـا : لست أدرى يا سقراط، وإننى لا أفعل شيئا سوى أن أذكر لك ما أعانيه.

س : أهو كذلك، أيها المهذار! ألم تسمع ما يقال من أننى ابن قابلة من أمهر وأعظم القابلات «فايناريت» ؟

ثـيــا : لقد سمعت بذلك.

س : ألم تسمع ، أيضا ، أننى أمارس الصنعة نفسه ؟

ثـيــا : كلا،أبدا.

س : لـتعلـم جيدا، ولاتذهب تذيع هذا الكلام لدى الآخرين، لأنـهم بـعيدون جدا، ياصديقى ، عن تصديق أنى أملك هذا الفن ولأنهم لا يعرفون، فهم لا ينسبون إلى هذا الموضوع، بل يقولون إنى رجل غريب الأطوار ولا أبعث فى عقول الناس إلا البلبلة.ألم تبلغك هذه الأنباء .

ثـيــا : نعم قد سمعت ذلك.

س : هلا فسرت لك السبب.

ثـيــا : أرجوك أن تفعل.

س : لتتذكر بنفسك عادات القابلات ولسوف تدرك بسهولة ما أبغى شرحه، وأظنك تعلم طبعا أنه طالما كانت القابلات قادرات على الحمل والولادة فهن لا يمارسن مهنة التوليد، وإنما يمارسنها بعد أن يفقدن هذه القدرة.

ثـيــا : .بكل تأكيد.

س : ويقال إن التي قدرت عليهن هذا الأمر هى «أرتميس» راعية الولادة فرغم أنها لم تلد قد أوكل إليها رعاية الولادة ولم تهب قدرة التوليد للعاقرات، إذ إن الطبيعة الإنسانية من الضعف بحيث لا يمكن أن تضع الفن حيث لا توجد الخبرة ولكنها وهبت هذه الصنعة لمن يمنعهن السن من الولادة تكريما لمشابهتهن لها.

ثـيــا : .أظن هذا صحيحا.

س : أليس صحيحا – أيضا – بل ضروريا أن تميز القابلات بين من لديهن حمل وبين من ليس لديهن حمل من النساء ؟

س : وإن القابلات ليعرفن – أيضا – بواسطة العقاقير والدعوات أن يثرن الآلام أو يسكننها بإرادتهن وأن ييسرن الولادات العسرة واذا تراءى لهن أن يسببن أجهاض الثمرة التى لم تنضج فإنهن يحدثن الإجهاض – أيضا.

ثـيـا : هذا صحيح.

س : ألم تلاحظ – أيضا – هذا الأمر وهو أنهن أكثر الناس خبرة باختبار الزيجات، إذ لهن مهارة فائقة فى التعرف على أى النساء ينبغى لها أن تتصل بأى الرجال كى تضع أفضل الأبناء؟

ثـيـا : لم أعرف ذلك أبدا.

س : ولتعلم أنهن فخورات بهذا العلم أكثر من معرفتهن بقطع الحبل السرى، ولتنظر فى هذا أيضا ألا يشبه هذا الفن رعاية الثمار وجنيها من الأرض ومعرفة أى النبات وأى البذور تصلح لأية أرض؟

ثـيـا : إنه يرجع طبعا إلى هذا الفن.

س : وعندما يتعلق الأمر بشئون المرأة، ألا تظن يا صديقى أن فن بذر البذور يختلف عن فن الحصاد.

ثـيـا : يختلف طبعا.

س : كلا ، فالقابلات بدافع من احترامهن لأنفسهن قد كرهن صنعة القوادات بسبب تلك التجارة التى ينقصها الشرف لذلك فهن يخشين التعرض لإتمام الزيجات خشية الاتهام بممارسة هذا العمل ومع ذلك فإن القابلات الحقيقيات هن أقدر الناس على إتمام الزيجات الناجحة. ١٥٠

ثـيـا : يبدو أن هذا صحيح.

س : وإلى هذا الحد ينتهى فن القابلات ولكنه فن لا يسمو إلى الوظيفة التى أقوم بها، ألا يتصادف مثلا أن تحمل النساء أحيانا نسلا حقيقيا ، وأحيانا أخرى يحملن أوهاما زائفة، إن التمييز بين النوعين من الحمل يحتاج لمجهود، فإن تصادف ووجد هذا التمييز بين الحقيقى والزائف فإنه يكون أعظم وأبدع أعمال القابلات.

ألست توافقنى على هذا الرأى؟

س : أجل هو كذلك.

س : وفنى فى التوليد له الصفات العامة نفسها التى لفنهن والفرق بينى وبينهن،

أنى أولد الرجال لا النساء، فإنى أتولى النفوس لا الأجسام، والخاصة المميزة للفن الذى أمارسه هو أنه قادر على إثبات نوع التفكير الناتج من الشباب هل هو شبح وهمى أم هو ثمرة الحياة والحقيقة وأن لى النقص الموجود نفسه عند القابلات، إذ ليس فى مقدورى أن أولد الحكمة، واللوم الذى وجهه إلى الكثيرين صحيح وهو أنى إذ أوجه الأسئلة للغير فإنى لا أقدم رأيي الخاص فى أى موضوع، لأنى لا أمتلك الحكمة. وهاك السبب فى ذلك: إن توليد الآخرين هو فرض على من الإله، أما قدرة الإنجاب فقد سلبت إياها، إذ لست حكيما على أى نحو كان، وليس لدىَّ أى اكتشاف أعده مولودا لنفسى، غير أن من بين من يتعاملون معى لأول مرة من يبدو أنهم لا يعرفون شيئا على الإطلاق، غير أنهم بقدر ما يتقدمون معى فى الحوار وبقدر ما ينعم عليهم الإله يتقدمون بسرعة فائقة سواء فى نظر أنفسهم أو فى نظر الغير ، ذلك رغم أنهم فى الواقع لم يتعلموا منى شيئاً فالحقائق العديدة الجميلة التى أخرجوها إلى النور إنما تم لهم اكتشافها فى أنفسهم أما عن ولادتها فترجع إلى الله وإلى عملى، والدليل على ذلك أن كثيرين قد أنكروا علىَّ هذا إذ ظنوا ذلك فى مقدرتهم ولم يكترثوا بى فاقتنعوا أو أقنعهم الغير أن يتركونى أسرع مما كان ينبغى فتركونى وأجهضوا ١٥١ فكرهم بسبب اتصالات سيئة، بل أكثر من ذلك، غذوا من خاصتهم بأغذية سيئة سببت مرضهم فأحلوا الباطل والوهم محل الحق فلم ينتهوا إلا إلى الجهل فى نظر أنفسهم ونظر الغير ومن بين هؤلاء أرستيد بن ليزيماك وكثيرون غيره. وقد أتوا إلى أحيانا يسترضوننى بسخاء فكانت الحكمة الإلهية التى تعودنى من آن إلى آخر تنهانى عن أى صلة ببعضهم، فى حين كانت تسمح لى بالاتصال بغيرهم وكان هؤلاء الذين يأتوننى يعانون مثل ما تعانيه النساء من آلم الوضع فكانوا يحسون تلك الآلام ويمتلئون بالحيرة التى تقضّ عليهم النوم ليلا ونهارا وتفوق آلام تلك النسوة.

ولفنى القدرة على إثارة هذه الآلام وعلى تهدئتها. وهاك إذن العلاج الذى أقدمه فى حالتهم ولكن يوجد ياثياتيتوس من أرى أن ليس لولادتهم ثمرة

فأعرف أنهم لا حاجة بهم إلى وكنت أحدس بفضل الله أى نوع من الاتصال سوف يفيده،لذلك فقد وثقت صلة الكثيرين منهم ببروديقوس وبغيره من حكماء الرجال وعظمائهم ولكن لم أطلعتك على كل هذه التفصيلات يا عزيزى؟ ذلك لأننى أظنك تحس بآلام وضع، فلتسلمنى نفسك كما لو كنت تسلمها لابن قابلة هو نفسه يولد، ولتحاول أن تجيب على أسئلتى بقدر ما تستطيع من دقة ، وإذا وجدت عند فحص إجاباتك وجود وهم ضال وانتزعته لأقذف به بعيدا فلا يصيبك الفزع الذى يصيب الوالدات الشابات اللاتى يفزعهن ما يهدد أولادهن البكر ، فهذه هى حال كثيرين قد أحسوا بهذا الشعور نحوى وبلغ بهم الأمر أن هموا ينهشوننى كلما حاولت انتزاع أفكارهم الخاطئة أيها الفتى الرائع. وهم لا يتصورون أبدا أنى أفعل هذا بحسن نية، بل لا يتصورون أنه ما من إله يود بالبشر سوءًا وإنى أيضا لا أعاملهم بطوية سيئة، إما أن أوافقهم على الباطل وأن أخفى نور الحق فهو أمر قد حرمته علىَّ كل قوانين الآلهة. لنأخذ المسألة من أولها ياثياتيتوس، ولتحاول أن تذكر لى فيم يتلخص العلم ولتحذر جيدا أن تتوهم أنك لست قادرا على ذلك؟ فإذا شاء الله ، ووهبك عزيمة الرجال فإنك ولا شك قادر على ذلك.

أول تعريف للعلم

أول تعريف للعلم

ثـيــا : الحق ، يا سقراط ، أنه ما دمت تحثنى بقوة فسوف يخجلنى ألا أبذل كل جهدى لأذكر لك كل ما يجول فى خاطرى، إذ يبدو لى أن من يعلم شيئا يحس بما يعلمه وفى ظنى أن العلم ليس شيئا آخر سوى الإحساس.

س : هذا جميل ونبيل يا فتاى، وعلى هذا النحو ينبغى التعبير عن الرأى ولنمض معا لنعتبر أن كان هنا ثمرة حقيقية أو وهم أجوف، أتقول إن الإحساس هو العلم ؟

ثـيــا : أجل.

أول تفسير : الإنسان المقياس عند بروتاجوراس :

س : إنك لا تقول لغوا فيما يتعلق بموضوع العلم، إنه كلام بروتاجوراس وإن اختلفت الصيغة قليلا، لكن المعنى واحد فهو يقول ما معناه : «إن الإنسان هو مقياس كل شيء» فهو مقياس وجود الموجود منها ومقياس لا وجود غير الموجود منها، ولعلك قرأت هذا بلا شك؟ ١٥٢

ثـيــا : لقد قرأته مرارا

س : ألا يفسر هذا القول على النحو الآتى : كما تظهر لى الأشياء تكون بالنسبة لى وكما تظهر لك تكون بالنسبة لك [(١)] لأنى وإياك بشر.

ثـيــا : إنه يذكر هذا المعنى.

س : من المرجح فى الواقع أن رجلا حكيما لا يقول هراء ولنتابع فكره. ألا يوجد لحظات تحدث الريح فيها قشعريرة لأحدنا. فى حين لا تحدث شيئا للآخر وتكون بالنسبة للواحد لطيفة. وبالنسبة للآخر عاصفة؟

(١) نظرية بروتاجوراس تؤكد أن الإحساس يولد صورة PHANTASIA وهذا هو ما نجده فى أول محاورة إقراطيلوس ٣٨٦.

ثـيـا : هذا مؤكد

س : فعلى أى نحو تكون الريح فى هذا الوقت فى حد ذاتها ؟ أتقول عنها باردة أم غير باردة ؟ أم توافق بروتاجوراس على رأيه بأنها باردة للذى يقشعر وأنها ليست كذلك بالنسبة للآخر؟

ثـيـا : ربما يكون كذلك. . .

س : ألا تظهر للواحد على نحو معين ، وللآخر على نحو آخر.

ثـيـا : أجل.

س : وأن تظهر له، ألا تعنى أنه يحس بها؟

ثـيـا : بالفعل.

س : فالمظهر والإحساس شىء واحد وهذا ينطبق فى حالة الإحساس بالحرارة أو ما شابهها من حالات أخرى، فكما يحس كل واحد تكون الأشياء بالنسبة له.

ثـيـا : هذا مرجح.

س : فليس هناك إذن من إحساس إلا بما هو موجود، وما دام الإحساس علما فهو غير خاطئ.

ثـيـا : هذا هو ما يبدو.

(ثانى تشبيه : التغير الكلى)

س : بحق ربات الإلهام [٢] أليس هذا الرجل بروتاجوراس خلاصة الحكمة ؟ إو لم يقدم للعامة مجازا فى حين علم الحقيقة لأتباعه سرا؟

ثـيـا : ماذا تعنى ، يا سقراط ؟

س : سأذكر لك الموضوع فهو ليس بأمر تافه – إنه يؤكد أنه ليس هناك ما هو فى ذاته وبذاته أو يمكن تسميته باسم معين أو بصفة معينة، بل على العكس إذا ما سميته كبيرا فإنك سرعان ما تجده صغيرا، وإن قلت ثقيلا ظهر خفيفا وكذلك بالنسبة لكل شىء إذ لا يوجد شىء واحد محدد أو ذو صفة ثابتة على أى حال من الأحوال، وكل ما نصفه بالوجود إنما هو فى صيرورة وحركة وامتزاج

(٢) LES GRACES فى اليونانية CHARITES وهن ربات الجمال والإلهام فى الفن، عددهن ثلاث.

متبادل، ووصفه بالثبات هو وصف مضلل إذ لا شيء موجود بل كل شيء يصير. ولنقل : إن كل الفلاسفة ما عدا بارمنيدس قد انتهوا على وجه الإجمال إلى تلك النتيجة وهم بروتاجوراس ، وهيراقليطس ، وأنبادوقليس ، أما من الشعراء فابيخارموس أعظم أساتذة الكوميديا ، وهوميروس أعظم أساتذة التراجيديا. وعندما يقول هذا الأخير : «إن المحيط منشيء الآلهة ، وأن أمهم تيتيس» فإنما يعنى أن كل الأشياء ناتجة عن السيلان»FLUX وعن حركة التغير–أليس هذا هو ما يعنيه؟[٣].

ثـيـا : أجل بالتأكيد.

س : فمن، إذن، يستطيع بعد هذا الكلام أن يثير أية معارضة ضد جيش يقوده هوميروس بغير أن يتعرض للسخرية ؟ ١٥٣

ثـيـا : إنه أمر صعب يا سقراط .

س : بالتأكيد يا ثياتيتوس ما دام هناك – أيضا – أدلة مؤكدة تستند إليها القضية التى مؤداها أن الحركة هى مصدر الوجود والكون، وأن السكون هو مصدر اللاوجود والفساد. وهى أن الحار والنار يولدان كل الأشياء وإنهما بدورهما يصدران عن الحركة وعن الاحتكاك FRICTION أليس كلاهما مولدا للنار؟

ثـيـا : نعم كلاهما.

س : بل إن جنس الأحياء لمدين لها بنشأته.

ثـيـا : طبعا بالتأكيد.

س : أليس صحيحا – أيضا – أن صحة الجسد تفسد بالسكون والكسل وأن الرياضة والحركة هى التى تحفظها؟

ثـيـا : أجل، هو كذلك.

س : أليس التعليم والاكتساب حركة تهب النفس العلم وتحفظ صحتها وسلامتها؟

---

(٣) عرض أفلاطون هذه النظرية التى تعمم مذهب هراقليطس فى محاورة إقراطيلوس، لأول مرة (٤٠١–٤٠٢) وقد استمدها من بعض التعليقات المجازية على هوميروس، وفى محاورة إقراطيلوس لم يذكر أنبادوقليس ولا إبيخارموس، بل هوميروس وهيزيود.

وأليس السكون وعدم التمرين والدراسة يفقدانها العلم وينسيانها ما سبق أن تعلمته؟

ثـيـا : بالطبع.

س : فالحركة – إذن – هى الخير سواء للنفس أو للجسم.

ثـيـا : هذا واضح.

س : ألا أذكرك ، أيضا – أن الركود فى المياه والهواء يحدث الفساد والفناء، فى حين تحقق الحركة النضارة؟ هل أتمم البرهان بأن أثبت لك أن هوميروس لم يرد أن يقول السلسلة الذهبية سوى الشمس فهى طالما تتحرك فى قبة السماء يستمر كل شىء فى الوجود سواء عند الآلهة أو عند البشر، ولكن إذا حدث وسكن الكل كما لو تقيد فسوف يخرب كل شىء ويفنى العالم؟

ثـيـا : إنى أوافقك ، يا سقراط ، على هذا التفسير.

س : وهاك يا عزيزى ما ينبغى أن تفكر فيه، إن ما نسميه لونا أبيض ليس شيئا متميزا فى ذاته خارج عينيك ولا هو فيهما ولا ينبغى أن نضعه فى مكان ما وإلا فإنه سوف يكون فى مكان ما وسيكون ثابتا بدلا من أن يدخل فى صيرورة شاملة.

ثـيـا : وكيف يكون ذلك ممكنا ؟

س : لنتابع الأدلة بحيث لا نجعل لشىء ما وجودًا فى ذاته ولذاته فسوف نرى أن الأسود والأبيض وكل الألوان الأخرى إنما تحدث من ملاقاة العينين بنوع معين من حركة النقلة [٤] فما تصفه بأنه هذا اللون أو ذاك لا يرجع إلى العين التى تصادفه بل إلى شىء وسيط بينهما وهو خاص بكل مدرك من المدركين المتعددين له، فإن لم يكن كذلك فهل تقول : إن اللون يبدو لكلب ما أو لأى حيوان آخر كما يبدو لك؟

ثـيـا: كلا والله لا أظن ذلك.

س : فهل يظهر الشىء الذى يعجبك لرجل آخر بالمظهر نفسه الذى يظهر به لك؟ ١٥٤

---

(٤) النقلة : TRANSLATION-PHORA

وهل يمكنك التأكد من ذلك فى حين أنه حتى بالنسبة لك أنت لا يظهر شىء ما على نحو واحد مادمت أنت نفسك لا تظل على حال واحدة؟

ثـيـا : أظن أن الرأى الآخر أكثر قبولا.

س : فإذا كان ما نقيس به أو ما نلمسه كبيرا أو أبيض أو حارا فإنه لن يتغير إذا ما ارتبط بشخص آخر، ومن جهة أخرى إذا كان للمقياس أو للذى نلمسه صفة معينة أو غيرها فلن يحدث إذا كانت الأشياء موجودة على نحو ثابت فسوف تكون الأحكام التى تنتهى إليها غريبة ومضحكة، كما كان بروتاجوراس يقول أو أى إنسان يتمسك بآرائه. .

ثـيـا : وكيف وأى أحكام تعنى بكلامك؟

س : دعنى أقدم لك مثالا بسيطا أوضح به ما أعنيه : لنفرض أننا قارنا ست عظام بأربع فإن الستة تكون أكثر من الأربعة، بل أقل من ضعفها بالنصف، فى حين إذا قارنت الستة باثنى عشر فإن العشرة تكون أقل منها بالنصف فهل يمكن أن تقول غير ذلك؟

ثـيـا : كلا بالطبع.

س : وإذن فعلى سؤال بروتاجوراس أو غيره : أى ثياتيتوس إن صار شىء أكبر عددا ألا يعنى هذا أنه يزيد؟ بم تجيب؟

ثـيـا : إذا أجبت، يا سقراط، بما يناسب المسألة الحاضرة فسوف أجيب بالنفى، أما إذا وضعت فى اعتبارى السؤال السابق فسوف أجيب بنعم لأتجنب التناقص.

س : حسن جدا بحق هيرا فهى إجابة ملهمة، وأظنك إذا أجبت بالإيجاب فإنك تؤكد عبارة يوريبيدس «اللسان لا يلام، أما العقل فلا».

ثـيـا : هذا صحيح.

س : إذا كنت وإياك من قبيل هؤلاء الماهرين الحكماء الذين يمحصون الأفكار العميقة بحثا وتنقيبا لكنا سمحنا لأنفسنا بتعرف معارضة الأدلة بعضها بعضا على طريقة السفسطائيين، لكننا قوم بسطاء وكل ما نبغيه أن نعرف ما يدور فى أذهاننا من أفكار فى علاقتها المتبادلة وعم إن كانت متفقة فيما بينها أو متناقضة؟.

ثـيـا : هذه هى بالتأكيد رغبتى.

س : وهى رغبتى – أيضا، فإذا كان الأمر كذلك، ألا يجدر بنا أن نعيد البحث فى سلام وهدوء وننقد أنفسنا بصدق ونتساءل عم يمكن أن تكون هذه الرؤى التى تظهر لعقولنا؟ ١٥٥

لنبحث أولا فى هذه القضية : وهى أنه لا شىء يكبر أو يصغر سواء فى الحجم أو فى العدد طالما ظل مساويا لنفسه: أليس هذا صحيحا؟

ثـيـا : بلى.

س : وثانيا: وإن ما لا يضاف إليه ولا يقتطع منه لا يكبر ولا يصغر بل يظل مساويا لنفسه.

ثـيـا : هذا مؤكد.

س : ونسأل ثالثا: هل يمكن لما لم يكن موجودا ثم وجد بعد ذلك ألا يكون قد جرت عليه صيرورة؟

ثـيـا : يبدو أن غير هذا مستحيل.

س : هناك إذن ثلاث قضايا قد اتفقنا عليها، ومع ذلك ما زالت تثير فى نفوسنا مشكلة، فسواء بحثنا فى مشكلة العظام أو عندما أقول إننى فى السن التى أنا فيها لم يحدث لى نمو ولا تغير* ولكن فى غضون سنة أصبحت أضأل منك بعد أن كنت أطول منك لا لأنى فقدت شيئا من حجمى، بل لأنك أنت قد نموت أكثر، فالظاهر أنى قد أصبحت غير ما كنت عليه سابقا رغم أنه لم يحدث لى تغير ولم أفقد شيئا من حجمى لأن ما لا يتغير يستحيل ألا ينتهى إلى هذه النتيجة فهل تقبل الأمثلة الحالية بغير حاجة إلى مزيد منها ؟ ألا تتابع يا ثياتيتوس ؟ أظنك على الأقل لست عديم الخبرة بمثل هذه المسائل.

ثـيـا : بل انى أشهد الآن ، ياسقراط ، أن دهشتى تفوق الخيال عندما أسأل نفسى عن معنى هذا، بل أظل ساعات أبحث فيها فيصيبنى الدوار.

س : إن ثيودورس ، ياعزيزى ، لم يخطئ فى تقديره لك، وهذا الشعور بالدهشة من علامات الفلاسفة، بل ليس للفلسفة من مصدر غيره وإن من جعل من إيريس

Iris (٥) ابنة لثوماس Thaumas لمدرك تماما حقيقة الصلة بينهما، ولكن أبدأت تفهم ما يترتب على النظرية التى نسبناها إلى بروتاجوراس من نتائج أم ليس واضحا بعد ؟

ثـيـا : لا أظننى قد فهمت بعد.

س : ألست ترحب ، إذن، بأن أعاونك على أن تتغلغل فى فكر رجل أو رجال ممتازين حتى« تصل إلى لب أفكارهم؟

(التشبية الثالث) النسبية المطلقة

ثـيـا : كيف لا أوافقك موافقة لا حد لها يا سقراط ؟

س : لتنظر جيدا ، ولتحذر من أن يسمعنا من لم يرتد الأسرار وأعنى بهم هؤلاء الناس الذى لا يسلمون بالوجود إلا لما يكون قيد قبضتهم، أما ما لا يقع تحت بصرهم ١٥٦ من أفعال وأحداث فإنهم لا يعترفون بحقيقته.

ثـيـا : إنك تتحدث عن أشخاص جامدين منفردين يا سقراط.

س : إنهم ، يا بنى ، بعيدون جدا عن التأثر بربات الفن، ولكن سوف أعرض عليك أسرار من هم أكثر منهم تهذيبا. فالمبدأ الرئيسى الذى تعتمد عليه النظريات التى سوف نعرضها يتلخص فى الآتى :

أن الكل هو حركة وليس شيئا آخر سواها، وإن هذه الحركة تتخذ شكلين كليهما لا نهائيان، أحدهما له قوة الفعل أما الثانى فله قوة الانفعال (٦)، ومن اقترابهما واحتكاكهما المتبادل ينشأ عدد لا نهائى من الآثار الناتجة على شكل أزواج توائم، الأول هو المحسوس والآخر هو الإحساس الذى يتفتح وينشأ فى الوقت نفسه مع المحسوس، وللإحساسات أسماء عندنا، البصر والسمع والشم والإحساس بالبرودة والحرارة أو باللذة والألم أو الرغبة والخوف وحسبنا ذكر هذه، أما ما ليس لها اسم فعددها لا نهائى وإن استطعنا تسمية العديد منها، أما

(٥) يرمز لها بقوس قزح وهى ابنة ثوماس– الدهشة– وحاملة رسائل الآلهة.

(6) Poeim, agir - Paschein, Pâtir .

عن الجنس الآخر للمحسوس فانه بدوره يطابق بين المولود التوأم والإحساسات المطابقة له واحدة بواحدة، فبالنسبة للإبصارات المتنوعة تتنوع الألوان تنوعا مطابقا لها، وبالنسبة للسمع توجد الأصوات، وللإحساسات الأخرى باقى المحسوسات المرتبطةبها بالطبيعة، فما الذى توضحه لنا هذه الأسطورة يا ثياتيتوس فيما يتعلق بالقضايا السابقة ؟ هل لديك أية فكرة؟

ثيا : ولا واحد ، يا سقراط.

س : لتنتبه إذن لترى كيف نصل إلى نهاية المطاف. وخلاصة المعنى إن كل شيء يتحرك غير أن الحركة قد تكون سريعة أو بطيئة وطالما كانت الحركة بطيئة فإنها تدور فى مكانها نفسه وفى حدود ما يجاورها فتولد ناتجا عنها ولكن هذا الناتج بعد أن يتولد على هذا النحو يصبح أكثر سرعة ، لأنه ينتقل من مكان إلى آخر ، فبمجرد ، مثلا ، أن تلتقى العين بالموضوع المناسب يتولد البياض والإحساس به معا وكلاهما ما كان ليوجد ما لم يحدث التقاء بين العاملين المتسببين فى حدوثهما، فبفضل الحركة التى تتم فى مكان متوسط بين البصر الصادر عن العينين والبياض الصادر عن الشئ المنتج للون، تمتلىء العين بالرؤية فهى تبصر عندئذ وتصير عينا مبصرة، فى حين أن الفاعل الآخر في إنتاج اللون يمتلئ بالبياض فلا يصبح بياضا، بل شيئا أبيض: سواء كان خشبا أو حجرا أو أى سطح قابل لأن يتلون بهذا اللون وكذلك ينبغى أن يكون الأمر فيما يتعلق بالجاف وبالحار وبكل الصفات التى ينطبق عليها التفسير نفسه: إذ لا شيء فيها له وجوده فى ذاته وبذاته ، كما سبق أن ذكرنا، وبواسطة ١٥٧ الاتصال المتبادل يتم لكل شيء حركته وصيرورته وتنوعه ولا يمكن أن نتصور أن شيئا واحدا يمكن أن يتصف بأنه فاعل أو منفعل بغير الإشارة إلى الطرف المقابل له ولا يمكن لشيء أن يكون فاعلا ما لم يتحدد بالمنفعل ولا منفعلا بغير أن يكون له اتصال بالفاعل. وما يكون فى هذا الاتصال فاعلا قد يظهر فى علاقة أخرى جديدة منفعلا. والنتيجة التى ننتهى إليها من كل ذلك هى تلك التى ذكرناها بادئ الأمر : إنه لا شيء يظل واحدا قائما بذاته ، وإنما هو فى

عملية صيرورة دائمة بالنسبة للغير، والوجود هو حد ينبغى حذفه. ومن نافلة القول أن نقول : إننا قد تورطنا بحكم العادة والسهولة إلى استخدام هذا اللفظ مرارا، لكن إذا أردنا أن نتحدث حديث الحكماء فينبغى ألا نقبل الكلام عن شيء، أو عن شخص، أو عن هذا، أو عن ذاك، أو عن غيرهم بلفظة تعنى الثبات، بل الأجدر أن نستخدم عبارات تعبر عن الحقيقة وهى أنها على وشك الصيرورة، أو الكون والفساد، أو التغير، أما ذكر كلام يعنى الثبات فإنما يعرض ناطقه للتفنيد . وينبغى أن نتبع هذه القاعدة إذا تحدثنا عن الوحدات المفردة أو عن الجماعات التى قد يسميها الناس أحيانا «الإنسان» أو «الحجر» أو أى نوع من أنواع الحيوان أو أية صورة أخرى. أليس فى كل هذا ، يا ثياتيتيوس ، نظريات محببة لك تجد متعة فى تذوقها.

ثـيـا : لست أعرف ، يا سقراط ، أكنت تعرض هنا آراء تعجبك أم أنك تريد اختبارى ؟

س : إنك تنسى، يا صديقى ، أننى لا أعرف، ولا أدعى شيئا من كل هذا وليس فى ذهنى فكرة عنها وانما أبغى توليدك ولكى يتم هذا فإننى ألهمك وأجعلك تتذوق حكمة المفكرين الواحد بعد الآخر حتى تخرج إلى النور طريقتك فى التفكير بمجهودنا المشترك. وبعد ذلك سوف أفحص إن كانت تنبض بالحياة أو لا. ولتكن واثقا ثابتا ولتجب على أسئلتى بشجاعة، وقدم ما يرضيك من حلول للمشكلات.

ثـيـا : هلا سألت !.

س : لتذكر لى إن كان يرضيك أن تنكر الوجود وأننا لا نثبت إلا الصيرورة المستمرة بالنسبة للخير والجمال وكل ما قد ذكرناه.

ثـيـا : إننى أشعر عندما أسمعك تشرح هذه النظرية بأن لها مظهرا رائعا ومقنعا وإنه ينبغى على أن أقبلها على نحو ما تشرحها.

س : دعنا نكمل عرضنا لها إذ يبقى فى الواقع اعتراض عليها يستند إلى الأحلام والأمراض وخاصة الجنون وكل ما يتسبب عن خداع فى السمع والبصر وباقى الإحساسات الأخرى وإنك لتعلم بالطبع أنه فى كل هذه الحالات تتعرض النظرية التي عرضناها تواً للتفنيد بسبب أنه في كل هذه الحالات تكون ١٥٨

الإحساسات التى نحس بها خاطئة ولكن لا شيء مما يظهر لأى إنسان يكون فى الحقيقة كما يظهر له.

ثـيـا : لا نزاع فيما تقول يا سقراط.

س : فما الذى ينبغى قوله بعد ذلك لمن يدعى أن الإحساس هو العلم وأن ما يظهر لكل واحد فهو موجود على نحو ما يظهر له؟

ثـيـا : فيما يتعلق بى ، يا سقراط ، فإنى أتردد فى أن أقول إنى لا أعرف بم أجيب؟، اذ إنك كنت تلومنى الآن على مثل هذا الكلام ومع ذلك فانى فى الواقع لا استطيع أن أعارض بأنه فى حالة الجنون أو فى حالة الحلم تعرض آراء خاطئة، ففى حين يعتقد البعض أنهم آلهة يتخيل الآخرون أن لهم أجنحة وأنهم يطيرون، بينما هم فى سبات عميق.

س : ألا تفكر – أيضا – فى معارضة أخرى بالنسبة لهذا الموضوع خاصة فيما يتعلق بمسألة الحلم واليقظة.

ثـيـا : أية معارضة؟

س : كثيرا ما ظننتك قدرت الآتى: فقد يسأل المرء بأى برهان نجيب على من يريد أن يعرف مثلا هل نحن نائمون أو أيقاظ نحلم الآن بكل ما يخطر فى فكرنا أو أنه حوار حقيقى يدور بيننا.

ثـيـا : الحق ، يا سقراط ، إنى لا أجد أى برهان نبرهن به على ذلك ، ولا يمنع شيء أن يكون الكلام الذى يدور بيننا الآن يتم أثناء النوم فإن المشابهة تكاد تكون تامة بين هذه الحالة وحالة ظننا أننا نحدث الآخرين أثناء الحلم.

س : إنك لترى أن مجال الشك هذا كبير حيث إن التمييز بين اليقظة والحلم شيء يقبل الحجاج، والحق أن الزمن الذى ننام فيه والزمن الذى نكون فيه متيقظين يتساويان وفى كل حالة منهما ندعى بكل قوة أن معتقداتنا فى أية حال من الحالين حقيقية وعلى هذا النحو تتساوى حماستنا وثقتنا فى إثبات حقيقة كل عالم من العالمين.

ثـيـا : نعم يتساوى الحالان.

س : وينبغى أن يكون الأمر كذلك فى حالات المرض والجنون، غير أن مدة استمرارها ليست متساوية.

ثيا : هذا حق.

س : ولكن أنقيس الحقيقة بطول المدة أم بقصرها؟

ثيا : كلا فهذا خطأ فى كل الأحوال.

س : لكن هل لديك أية علامة واضحة تبين أى هذه المعتقدات حقيقى ؟

ثيا : لا أظن

س : دعنى أذكر لك ما يقوله أولئك الذين يؤكدون الرأى القائل : إن كل المعتقدات أيا ما كانت عليه إنما هى حقيقية بالنسبة للذات التى تعتقد فيها ، وفى ظنى أنهم يفسرون فكرتهم على النحو التالى «أى ثياتيتوس إذا كان هناك شيء مختلف تماما عن غيره فهل يمكن أن يتصف بصفة هذا الغير؟ ولست أعنى بهذا الاختلاف اختلافا فى صفة ما وتشابها فى صفة أخرى بل اختلافا كليا.

ثيا : مستحيل أن يكون بينهما تشابه سواء فى أفعالهما أو بالنسبة لأى شيء آخر ١٥٩ ماداما مختلفين تماما.

س : ولكن أليس من الضرورى أن نسلم بأن هذا الموضوع مختلف عن الآخر؟
أظن كذلك.

س : فهل نقول إذن : إن كل ما يتشابه مع نفسه أو مع غيره أو لا يتشابه يتحد عند المشابهة مع ما يشابهه ويختلف مع ما لا يشابهه ؟

ثيا : طبعا هذا ضرورى.

س : ألم نكن نقول مسبقا: إن الفواعل كثيرة، بل لا نهائية العدد وكذلك – أيضا– المنفعلات؟

ثيا : بلى.

س : وأن الناتج من اتصال واحد منها بغيره يختلف باختلاف هذه الأطراف.

ثيا : هذا حق.

س : فلنطبق هذا الكلام على نفسى أو عليك أو على أى شيء آخر فنقول : إن سقراط سليم ، ثم نقول: إن سقراط مريض، فهل يتشابه سقراط فى الحالين؟

ثـيـا : هل تعنى أن كان سقراط المريض بأكمله يشبه سقراط السليم بأكمله؟

س : لقد فهمت الآن ما أعنيه.

ثـيـا : ينبغى أن نقول: إنهما متباينان.

س : أليسا متباينين بقدر ما هما مختلفان؟

ثـيـا : أجل بالضرورة.

س : ألا ينطبق هذا الحكم – أيضا – على سقراط حين يكون نائما، وفى كل الحالات التى سبق ذكرها؟

ثـيـا : هذا مؤكد.

س : أليس كل ما هو بطبيعته فاعل مؤثر يفعل فى فعل مختلف عما يفعله فى سقراط السليم تارة والمريض تارة أخرى.

ثـيـا : بلى طبعا.

س : ألا يكون الناتج الذى يتولد عن تأثرى بالفاعل مختلفا عن الناتج من تأثر سقراط به؟

ثـيـا : أجل بالطبع.

س : ألا يبدو لى النبيذ الذى أشربه وأنا سليم لذيذا وحلوا؟

ثـيـا : أجل.

س : وتبعا للتفسير الذى سلمنا به ، فإن الفاعل والمنفعل ينتجان الحلاوة والإحساس بهما ، أى حركتين متواقتتين، فالإحساس من جهة المنفعل يجعل اللسان يحس، أما الحلاوة من جهة النبيذ فقد انتشرت فيه فجعلته حلوا ، وظهر حلوا فى اللسان السليم.

ثـيـا : هذابالتأكيد هو ما قد سبق أن سلمنا به.

س : لكن إذا وقع الفعل على وأنا مريض فإن أول ما سوف يقال إنه ليس الشخص نفسه وإنما شخص مختلف لأن المنفعل هنا ليس مشابها للآخر.

ثـيـا : أجل.

س : كذلك الحال بالنسبة للزوج التالى، إذا كان سقراط فى هذه الحالة – أى

المرض- يشرب النبيذ فإنما تحدث نتائج مختلفة، أى إحساس بالمرارة فى اللسان من جهتى، ومن جهة النبيذ تنشأ مرارة أى حركة فالنبيذ يصبح مرا وليست المرارة فى حين أصبح أنا حاسا ولست إحساسا.

ثـيـا : بالتأكيد.

س : ومن جهتى لا يمكن أن أحس بالطريقة نفسها بأى شىء آخر، فالموضوع المختلف يناسبه إحساس مختلف، كما أنه عندما يؤثر على المدرك له فإنما يؤثر على شخص مختلف تماما. والشىء الذى يؤثر فى لا يمكن أن يؤثر فى شخص آخر ويولد النتيجة نفسها والحال نفسها ، فإذا اختلفت الأسباب اختلفت النتائج وتغير الحال. ١٦٠

ثـيـا : حق ما تقول.

س : ولكننى لا يمكن أن أصير حاسا بذاتى وحدها ، ولا يمكن للموضوع أن يصير مدركا بذاته وحدها.

ثـيـا : كلا بالتأكيد.

س : ومن المؤكد أننى عندما أصير مدركا أصبح مدركا لشىء ما، أو لا يمكن أن أكون مدركا للاشىء فى الوقت نفسه، وكذلك يكون الموضوع حلوا أو مرا أو غير ذلك فهو يؤثر فى شخص ما إذ من المسلم به أن يصير الشىء حلوا بغير أن يكون حلوا بالنسبة لشخص ما.

ثـيـا : صحيح تماما.

س : أظن أنى وهذا الموضوع نكون موجودين بواسطة هذه العلاقة المتبادلة بيننا لأن وجودنا مرتبط بحكم الضرورة ولكننا غير مرتبطين بشىء آخر ولا يمكن لكل منا أن يكون مرتبطا بذاته، فالارتباط الوحيد الباقى هو ارتباط الواحد بالآخر ويترتب على ذلك عندما نتحدث عن وجود أو عن صيرورة شىء معين فإنما نتحدث عنهما بالنسبة لشخص أو شىء ما أو فى اتجاه شىء ما ولا ينبغى أن نقول أو نسمح لأحد أن يقول بأن شيئا ما موجود أو يصير فى ذاته أو بذاته، هذا هو معنى البرهان الذى عرضناه.

ثـيـا : هذا صحيح جدا يا سقراط.

س : وعلى ذلك فإن ما هو مؤثر بالنسبة لى ليس مؤثرا بالنسبة للآخر وأنا الذى أحس به وليس الآخر.

ثـيـا : طبعا هو كذلك.

س : فإحساسى إذن حقيقى، لأنه يرجع إلى وجودى أنا وإلى ينبغى أن يكون الحكم على حد قول بروتاجوراس فما هو موجود بالنسبة لى فهو موجود وما ليس موجودا بالنسبة لى ليس موجودا على الإطلاق.

ثـيـا : هذا ما يظهر.

س : فإذا سلمت بأنى متيقن ولا أخطىء فى تقديرى لما هو موجود وما هو فى صيرورة فكيف أفشل فى معرفة ما أحس به؟

ثـيـا : لا أظنك تفشل فى ذلك.

س : لقد أحسنت القول حين ذكرت أن العلم ليس شيئا آخر سوى الإحساس وإلى هذا المعنى قد انتهت نظرية هوميروس ، وهرقليطس وكل الفرقة التى تتبع قولهما: «بأن كل شىء يتحرك كسيلان المياه» وكذلك عبارة ثياتيتوس الذى يعلن بناء على كل ذلك أن الإحساس هو العلم، أليس كذلك يا ثياتيتوس ؟ ألا ينبغى أن نسلم أن لديك الآن مولودك وإنى قد ولدتك ولادة ناجحة؟ ماذا تقول؟

ثـيـا : أقول حقا يا سقراط.

أول محاولة للنقد : على كل أن يثبت قضيته :

س : يبدو أننا قد صادفنا تعبا شديدا حتى خرج مولودنا إلى النور أيا كان نوع هذا المولود – ولكن بعد أن تمت الولادة فينبغى أن نمضى فى الاحتفال بالمولود (٧) ولنشحذ فكرنا لنرى إن كان الناتج يستحق أن نربيه أهو مجرد وهم زائف أم نظن أنه ينبغي علينا أن نربيه بأى ثمن لأنه مولودك ولا ينبغى ١٦١

---

(٧) فى اليونانية تفيد كلمة AMPHIDROMIA الاحتفال بالمولود بعد أن يطلق عليه اسمه ويطوف به أهله صحن الدار بعد أسبوع من ولادته.

أن نعرضه للخطر: أم يحتمل على العكس من ذلك أن يوجه له النقد تحت بصرك بغير أن ينتابك الغضب إذا ما سلبت مولودك البكر.

ثيودوروس: إن هذا الاحتمال سيتوفر لثياتيتوس ياسقراط، إذ أنه ليس حاد الطبع ولكن بحق الآلهة، لتخبرني هل يوجد في هذه النتيجة أي خطأ؟.

س : يالك من مجادل هاو! وما أطيب قلبك إذ تعدني ياثيودورس حقيبة من الأدلة ليس على سوى أن أستخرج الإجابة جاهزة لأقول لك هنا - أيضا - يوجد خطأ، وأنك لا تلاحظ في الواقع ما يحدث إذ ليس هناك دليل واحد من الأدلة قد صدر عني بل يصدر دائما ممن أناقشهم، أما بالنسبة لي، فأنا لا أعلم شيئا أكثر من العلم البسيط بأن ما نجريه من حوار يبدع الحكمة عند الآخرين ويجعلهم يتلقونها على نحو سليم ، وهذا ما سوف أحاوله الآن مع فتانا ، وبغير أن أذكر شيئا من عندي.

ثيودوروس: معك حق ، يا سقراط ، لتفعل وفقا لما تقول.

س : أتعلم إذن ، يا ثيودورس ، ما الذي يدهشني من صديقك بروتاجواس ؟

ثيودوروس: ماذا ؟

س : لقد ذكر أشياء تعجبني في مجموعها إذ قد وضح أن ما يبدو لكل واحد فعلى هذا النحو يكون غير أن بداية حديثه قد أدهشتني، فلماذا لم يقل عندما بدأ حديثه إن مقياس كل شيء هو الخنزير أو القرد أو أي حيوان أكثر غلظة من بين الحيوانات التي تحس؟

فقد كان يوشك أن يقدم شيئا رائعا في افتتاحية محتقرة إذ يظل يذكر لنا هذا طول الوقت الذي كنا نعجب بحكمته إعجابا لا يجوز إلا للآلهة في حين أنه في الحقيقة لم يكن أحكم من أي شخص آخر ولا حتى من ضفدع الماء، إذ ماذا نقول غير ذلك يا ثيودورس، وإذا كان كل ما يدركه الإنسان حقيقي بالنسبة له، وإذا كان له رأي فليس لأحد غيره من حق في أن يختبر صحته أو خطأه، واذا كان كما قلنا مرارا، لكل واحد معتقداته الخاصة التي لا يجوز لأي واحد آخر أن ينازعه في صدقها أو حقيقتها فكيف يا صديقي العزيز يكون بروتاجوراس

حكيما إلى حد أن يعلم الآخرين ويتلقى منهم أجورا باهظة ؟ وما حاجتنا اذن نحن الجهلة نسبيا لأن نحضر دروسه طالما كان كل منا مقياسًا للحكمة ؟ [٨] ألا تظن أن بروتاجورس لا يقدم هنا شيئا سوى خداع للعامة، أما فيما يتعلق بحالى وبفنى فى التوليد فلا أقول شيئا عما يقال عنه وعن الحوار الجدلى من أقوال سخيفة، ألا يترتب على ذلك أن تصبح محاولة اختبار آراء الناس ونقد معتقداتهم التى هى حقيقية بالنسبة لكل منهم مجرد صياح أجوف وثرثرة ما دامت نظرية بروتاجوراس هى الحقيقة اليقينية وليست لهوا يطلقه من باطن ١٦٢ أعماق كتابه المقدس[٩].

ثيودوروس: إن الرجل لعزيز على، يا سقراط، على نحو ما ذكرت الآن، ولذلك فلن أرضى بأن أقدم الأدلة التى تفند بروتاجوراس كما لا أبغى أن أعارض رأيك وأكون خصما لك ولذلك ينبغى عليك أن تتجه إلى ثياتيتوس، إذ إنه قد بدا متتبعا تفكيرك فى المنافشة الحالية.

س : فهل تفضل ، يا ثيودورس ، اذا ما زرت حلبة مصارعة بلقديمونيا أن تشاهد اللاعبين يخلعون ملابسهم ولا تستجيب بدورك فتتعرى لتظهر هيئتك؟

ثيودوروس: ولم لا إذا كنت قد حظيت بكسب ثقتهم بالأدلة العقلية المقنعة؟وأظن أننى سوف أقنعك بالنسبة للحالة الراهنة بأن تتركنى فى دور المشاهد وألا تدفعنى بعنف إلى التمرينات ولك أن تفضل رفيقا أكثر شبابا ونضارة على من كان فى مثل سنى قد تصلبت أطرافه.

س : ليكن ، يا ثيودورس ، ما تريد، فإن ما يعجبك لا يضيرنى ، كما يقول المثل، وينبغى لنا أن نبدأ بما كنا نعرضه، ألا تعجب لحظة ترى نفسك ترتفع إلى مصاف الحكمة التى لا يسمو إليها بشر ولا إله؟ [١٠] أم تظن أن مقياس بروتاجوراس لا يسرى على الآلهة أكثر مما يسرى على البشر؟

---

(٨) يقتبس هنا فكرة السؤال الذى وجهه سقراط إلى السفسطائيين فى محاورة أوتيديموس (٢٨٧) فقال : إذا كنا لا نخطىء فى أقوالنا ولا فى أفكارنا فإلى مَنْ مِنْ الناس تقدمون إذن دروسكم ؟».

(٩) يقول فى محاورة أوتيديموس (٢٨٦) هل من الممكن أن نفند إنسانا إذا كان من المستحيل أن يخطىء الإنسان؟

(١٠) يقول فى محاورة القوانين (٧١٦) إن الله هو مقياس كل شيء.

ثـيـا : بحق السماء ليس لدى تلك الفكرة، وإنى لأجيب على سؤالك بنعم، إنى لأعجب جدا فعندما كنا نتتبع حالا نتائج العبارة «إن ما يظهر لكل واحد فهو موجود بالنسبة لمن يظهر له» قد ظهر أن من يقول بهذا صادق، ولكنى الآن قد تغير شعورى.

س : لأنك مازلت صبيا ، يا بنى، وإنك لتسمع وتقنع بسرعة بالكلام المنمق ففى مثل هذه الأسئلة كان بروتاجوراس يجيب هو أو من كان مكانه بقوله : أيها الأبطال شبابا وشيوخا، إن هذا لغو لأنكم تجرون الآلهة التى أستبعد من أحاديثى وكتاباتى الحكم على وجودها وعدم وجودها [11] فى المعارك التى تثيرونها وتلجأون إلى اللغة التى تستجيب لها العامة كقولكم : إنه من جهة الحكمة ليس الإنسان بأحكم من أية بهيمة.

ولا يوجد أى أثر للبراهين اللازمة فى كلامكم لأنكم لا تتحدثون إلا بالمشابه الذى لو أن ثيودورس أو غيره من علماء الهندسة اختار استعماله فى الهندسة لحكم عليه أول عابر سبيل بأنه لا يساوى شروى نقير لتخبرا أنت وثيودورس إذا ما كنتما تقبلان الأسباب المقنعة أو المتشابهات كما لو كانت براهين صالحة للموضوعات الجادة. ١٦٣

ثـيـا : لتسمح لى ، ياسقراط ، أن أخبرك بأنك وإياى ما كنا نقول هذا.

س : أظن أنه لابد أن نوجه البحث فى اتجاه آخر وفقا لأسلوب تفكيرك أنت وثيودورس.

ثـيـا : أجل فى اتجاه آخر.

س : لنضع هذه القضية موضوع البحث وهى : أيكون العلم والإحساس شيئا واحدا أم أنهما مختلفان فكل مناقشاتنا سوف تدور حول هذا الموضوع وقد أثرنا كل هذه النظريات الغريبة من أجل هذه الغاية.

ثـيـا : صحيح جدا.

---

(١١) ذكر سكستوس أمبريقوس فى كتابه Adv.Math.IX,56. عبارة بروتاجوراس وكذلك نقلها بأوزيبيوس وخلاصتها :

«أما عن الآلهة فلا يمكن أن أقول : إنها موجودة أو غير موجودة ولا ما هى طبيعتها فهناك عوائق كثيرة تحجب هذه المعرفة منها غموض الموضوع وقصر الحياة».

(للعلم الديمومة نفسها التى للإحساس)

س : هل نتفق – إذن – على أن كل ما نحس به بواسطة البصر أو السمع يكون موضوعا لعلمنا؟ مثلا قبل أن نكون قد تعلمنا لغة البرابرة، أننكر أننا نسمع ما ينطقون به، أم نؤكد أننا نسمع ونعلم ما يقولون؟

وأيضا ، هل إذا لم نكن نعرف القراءة ووقع بصرنا على حروف الهجاء أننكر رؤيتها أم نؤكد بكل قوة أننا عندما أبصرناها فقد عرفناها؟

ثـيـا : إننا حين نرى أو نسمع شيئا نؤكد أننا عرفناه ، ياسقراط ، فقد يكون شكلا أو لونا فنقول: إننا نبصره ونعرفه وندرك – أيضا – أن هناك ارتفاعا وانخفاضا فى الصوت نسمعهما ولذلك نعرفها ولكن ما يعلمه النحويون والملحنون فلا نقول إننا نحسه بالبصر أو بالسمع أو أننا نعلمه.

س : إجابة ممتازة ، يا ثياتيتوس ، وليس هناك ما يستدعى اعتراضى عليك مما يعوق مواصلة بحثك. ولكن لتنتبه إلى هذا الهجوم الجديد الذى يقترب ولتبحث بأى الوسائل تدفعه؟

ثـيـا : أى هجوم ؟

س : سنسأل هذا السؤال : إذا علم الإنسان موضوعا ما وكان موجودا فى ذاكرته فهل يمكن ألايعلم هذا الشخص الموضوع الذى يتذكره أثناء عملية تذكره له؟ أظننى صعبت المسألة بهذا الكلام الكثير فهى تتلخص فى السؤال عم اذا كان المرء يعلم الموضوع الذى سبق له تعلمه فى الوقت الذى يتذكره فيه.

ثـيـا: كلا بالطبع ، يا سقراط ، ان ما تقوله غريب.

س : هل أذكر لغوا؟ لتفحص جيدا عم إن كان البصر فى رأيك يساوى الإحساس أو أن الإبصار هو الإحساس ؟

ثـيـا: نعم أوافق على ذلك.

س : وإذن فمن أبصر فقد علم ما أبصره وفقا لرأيك الحالى.

ثـيـا : أجل.

س : وعلى ذلك يوجد شيء ما تسميه الذاكرة [١٢]؟

ثــيــا : أجل.

س : ذاكرة عن شئ أو عن لا شيء؟

ثــيــا : عن شيء ما بالطبع.

س : عن شيء ما تعلمناه أو عن شيء ما أحسسنا به ؟

ثيا : بالطبع .

س : أى يتذكر المرء ما يكون قد رآه.

ثــيــا : نعم يتذكره.

س : وحتى عندما يغمض عينينه؟ أو هل نفقد شيئا بإغماضهما ؟

ثــيــا : سيكون غريبا ، يا سقراط ، لو قلنا بمثل هذا.

س : هذا هو ما ينبغى قوله إذا أردنا أن نؤكد الدليل السابق وإلا فإنه سوف يدبر. ١٦٤

ثــيــا : وبالنسبة لى فلدى والله بعض الشك فيما تقول لأنى لا أفهم جيدا. فلتفسر لى أكثر.

س : إنه كذلك إن من أبصر فإنه قد علم ما كان قد أبصره ذلك لأن البصر والإحساس والعلم كلها شيء واحد، ألسنا متفقين على ذلك ؟.

ثــيــا : بكل تأكيد .

س : ولكن من أبصر شيئا وعلم ما قد أبصره ثم أغمض عينيه ألا يتذكره فى الوقت نفسه الذى يراه فيه؟ أليس هذا حقيقيًا ؟

ثــيــا : هذا حق..

س : لكن ألا يعنى عدم الإبصار عدم العلم ما دام الإبصار هو العلم.

ثــيــا : حقًا.

س : قد يحدث مثلا أن ما قد علمناه ثم تذكرناه ينبغى علمنا به ما دمنا لا نراه، هو افتراض وصفناه بأنه غير معقول.

ثــيــا : صحيح ما تقول.

---

(12) Mneme

س : وهو أمر مستحيل إذا سلمنا بأن العلم والإحساس يكونان شيئا واحدا.

ثـيـا : يبدو هذا .

س : ينبغى أن تقول : إنهما مختلفان.

ثـيـا : أظن ذلك.

س : فماذا يكون العلم إذن ؟ يبدو أنه ينبغى لنا أن نأخذ المسألة من أولها ، ولكن ماذا سوف نفعل هنا ، يا ثياتيتوس؟

ثـيـا : ماذا ؟

س : يظهر أننا قد سلكنا مسلك الديك السيئ العنصر فأسرعنا قبل أن نحقق النصر إلى ترك المناقشة وهللنا لانتصارنا.

ثـيـا : وكيف هذا ؟

س : يبدو أننا قد انتهينا إلى اتفاق على الكلمات وأن مثل هذا النصر الوهمى قد أغرانا وإننا حين ندعى أننا فلاسفة فقد وقعنا بلا وعى منا فيما يقع فيه هؤلاء القوم غير المحتملين.

ثـيـا : لست أفهم تماما ما تعنيه بهذا الكلام.

س : سوف أجتهد فى توضيح ما يجول فى ذهنى فقد سألنا هل ما تعلمناه ثم تذكرناه يمكن ألا نعرفه، ثم سلمنا بأن من رأى شيئًا ثم أغمض عينيه يتذكره فى حين أنه لا يراه ثم ذكرنا بعد ذلك أنه فى الوقت نفسه لا يعرفه ومع ذلك فهو يتذكره وإن فى هذا القول استحالة وبهذا نكون قد أنكرنا أسطورة بروتاجوراس وأسطورتك اللتين توحدان بين العلم والإحساس.

ثـيـا : هذا ما يبدو.

س : ويخيل إلىَّ ، يا عزيزى ، لو كان والد الأسطورة الأولى يعيش فإنه كان سيدفع عنها كثيرا من الضربات ولكن لا يوجد هنا سوى يتيم ونحن نمرغه فى الوحل، وبقدر ما يرفض المربون الذين تركهم له بروتاجوراس للمساعدة وأولهم ثيودورس فعلينا نحن أن نمد له يد المساعد.

ثيودوروس لست أنا ، يا سقراط ، وإنما هو بالأحرى كالياس بن هيبونيكوس الذى كان ١٦٥ وصيا عليه، ولقد عزفت مبكرا عن الأفكار المجردة وملت إلى الهندسة. ومع ذلك فإننى موافق إذا أردت أنت أن تساعده.

س : كلام طيب يا ثيودورس، لننظر اذن فى المساعدة التى سوف أقدمها – وإن عدم الدقة فى ملاحظة معانى الكلمات قد جرتنا إلى التسليم بنتائج خطيرة كما حدث فيما سلمنا به وما رفضناه من أقوال. أأوجه تفسيرى لك أم لثياتيتوس»؟.

ثيودوروس لكلينا فى وقت واحد، لكن ليجب الأصغر فإن هفواته ستكون أقل شناعة.

س : سوف أوجه الآتى، هل من الممكن للذى يعرف ألا يعرف ما يعرف ؟

ثيودوروس بم نجيب – إذن – يا ثياتيتوس؟

ثـيـا : إن ذلك من المستحيل، ذلك هو رأيى على الأقل.

س : ليس مستحيلا، ما دمت قد سلمت إن البصر يساوى المعرفة، إذ كيف تفلت من ذلك السؤال العويص، من البئر الذى رماك فيه السائل الملح الذى أغمض إحدى عينيك بيده ثمَ سألك عم إن كنت ترى ملابسه بعينيك المغمضة؟

ثـيـا : سوف أقول بهذه العين المغمضة لا، أما بالأخرى فنعم.

س : أليس معنى هذا أننا نرى ولا نرى الشيء نفسه .

ثـيـا : بلى، هذا حق بلاشك.

س : إنى لا أعبأ بهذا ولم أستفهم عن الطريقة، بل أسأل عما إذا كنت تعرف ولا تعرف فى الوقت نفسه؟، فمن الواضح أنك فى هذه اللحظة ترى ما لا تراه، وقد سلمت أن الإبصار يساوى المعرفة وأن عدم الإبصار يساوى عدم المعرفة، وعليك أن تستدل من ذلك على النتائج التى ينبغى أن تستدل عليها.

ثـيـا : وإذن فإنه يترتب على ذلك عكس ما قد أثبته.

س : وربما ، يافتاى المدهش ، سيكون عليك أن تخضع لهزائم مماثلة فى حالة اذا ما سئلت هل هناك معرفة متميزة ومعرفة مبهمة، معرفة عن قرب ومعرفة عن بعد، معرفة عميقة ومعرفة متوسطة وآلاف الأشياء الأخرى التى توقعك فى

كمين يطل منه عليك مهاجم مرتزق فى معارك بعد أن سلمت بوحدة العلم والإحساس ولسوف يوجه هجومه إلى إحساسى السمع والشم وباقى الحواس ليفعمك بغير هوادة ولايتركك الابعد أن يكون قد أربكك بحكمته الفائقة، بل يقيدك أسيرا له ، وبعد أن يكون قد قيدك من قدميك ويديك ولا يطلق سراحك الا بعد أن يكون قد أخذ كل ما يمكن مداولتك فيه، أى إجابة إذن تقول : إن بروتاجوراس سيقدمها ليدعم بها نظرياته؟ ألا نحاول أن نذكرها؟

ثـيـا : إنى موافق.

(دفاع بروتاجوراس)

س : إن كل ما قد ذكرناه الآن للدفاع عنه سوف يصير إلى ضده وسوف يقول ١٦٦ باحتقار لنا : ها هو ذا سقراط المدهش!

لقد سأل سقراط صبيا خائفا عما إن كان هناك رجل يستطيع أن يتذكر شيئا ما هو فى الوقت نفسه لا يعرفه؟ ولقد خاف الصبى وأنكر لأنه لم يكن يستطيع التنبؤ بالنتائج والذى خذل هو أنا : لقد حاول سقراط ليثبت ذلك ولكن هاك الحقيقة فى هذا الموضوع، أى سقراط أيها الرجل الساذج! إذا كنت تتناول رأيا من آرائى بطريق المناقشة وكان محدثك يرد عليك بما كنت أرد أنا به ثم تتغلب عليه فإنك عندئذ تتغلب على أنا – أيضا، وأما إذا أجاب بإجابات مختلفة عما كنت أجيب به فإنك لا تفند إلا محدثك وبغير أن نطيل، أتظن أننا نسلم بأن الصورة التى تتذكرها الآن عن انطباع تشبه تماما الانطباع السابق الذى لم نعد نحس به أم أنها تختلف كثيرًا ؟ أتظن أننا نتراجع عن التسليم بأن المعرفة وعدم المعرفة يمكن أن يوجدا عند الشخص نفسه وبالنسبة للشيء نفسه؟ فإذا لم تجرؤ على ذلك الاعتراف أنسلم لك أن الشخص الواحد لا يمكن أبدا ألا يكون هو ذاته بعد ما يتغير عما كان عليه قبل التغير ؟ أم أنه يوجد شخص واحد وليس أشخاصا ؟ أى إنه يتعدد إلى ما لا نهاية بشرط أن يتغير الفرد على التوالى، وإذا وجب علينا تصيد الكلمات فعلى كل أن يحذر من خداع الآخر ! ولسوف يردف بروتاجوراس قائلا: لتكن نبيلا عندما تتعرض لمهاجمة

قضيتي، ولتثبت إذا استطعت عكس ما أقول، أى أنه لا يوجد لكل واحد إحساساته الخاصة، أو إذا سلمنا بخصوصيتها فإنه يترتب على هذا أن ما ظهر لكل شخص فإنه لا يترتب على هذا إن ما ظهر لكل شخص فإنه لا يصبح موجودا بالنسبة لمن يظهر له، أما إذا تحدثت هنا عن الخنازير والقردة Baboon فليس معنى هذا أنك تفكر كالخنازير نفسها، بل أكثر من ذلك تغرى سامعيك بمثل هذا السلوك فى تقديرك لكتاباتى على هذا النحو. وإنك لتخطئ بفعلك هذا إذ أننى أؤكد أن الحقيقة هى كما قد دونتها: كل منا هو مقياس لما هو موجود وما ليس موجودا، ويقدر الاختلاف الموجود بين الواحد من الناس والآخر يكون الاختلاف بين ما هو موجود وما يبدو للواحد أو للآخر ، وإنى لا أنكر وجود الحكمة والحكماء ولكن على أى نحو أعرف الحكيم؟ إنه ذلك الذى يمكنه أن يغير معنى الأشياء بالنسبة لنا بحيث يجعل الأشياء السيئة والتى تظهر لنا سيئة تتحول إلى حسنة وتظهر لنا حسنة، ولكن لا نذهب فى البحث عن معنى كل كلمة من كلمات هذه العبارة، وهاك بالأحرى تفسير ما أود أن أقوله، فلتذكر على سبيل المثال ، ما كنا نذكره فيما سبق من أن الطعام يكون ويظهر فى فم المريض مرا ، في حين أنه يكون بالنسبة للسليم ويظهر له على العكس من ١٦٧ ذلك [١٣]. ولا يجوز ولا يمكن فى الواقع أن نصف أحدهما بأن رأيه أحكم من الآخر كما لا يجوز – أيضا – أن نتهم المريض بالجهل ، لأن آراءه تعنى معنى معينا أو أن نسلم بأن السليم حكيم لأنه يعتقد غير ذلك ، وما ينبغى أن نفعله فى التربيه هو إبدال حال بحال أخرى تكون أصلح منها، فالطبيب يحدث هذا بأدويته، أما السفسطائى فبأقواله[١٤]، ولا يحدث أن استبدل أحد ما رأيا خاطئا برأى سليم لأنه ليس من الممكن التفكير فيما هو ليس موجودا، وإنما الرأى هو دائما ما ننفعل به، وكل ما ننفعل به صحيح، والأولى أن نقول إن الميل المنحرف فى النفس يولد آراء من طبيعته نفسها ، والميول الحسنة تحدث آراء

---

(١٣) ارجع إلى الفقرة ١٥٩.

(١٤) انظر بهذا الصدد هيلينا لجورجياس ٨-١٣-١٤.

تتناسب معها وقد يصفها البعض عن جهل بأنها أكثر حقيقة من غيرها فى حين أنها ليست عندى بأكثر يقينا من الأخرى ، وإن كانت أكثر قيمة، أما عن الحكماء ، يا صديقى سقراط ، فإنى أبعد ما أكون عن أن أبحث عنهم بين الضفادع، بل انى أجدهم بين الأطباء إن تعلق الأمر بالأجسام وبين المزارعين إن تعلق الأمر بالنبات وانى لأوكد أن هؤلاء يولدون فى كل ما ينبت الإحساسات الحسنة السليمة بدلا من الإحساسات الخطرة التى تجلب عليها المرض كذلك فإن الأخيار الحكماء من الخطباء يقدمون للدول الآراء الحسنة بدلاً من السيئة ويكسونها بأبهى الحلل، فكل ما يبدو حسنا وجميلا للمدينة يبدو كذلك طالما هى تشرعه ، ولكن الحكيم يستبدل بالضار من الأفعال النافع فى حقيقته وفى مظهره وللسبب نفسه يكون القادر على أن يقدم لتلاميذه تربية مفيدة حكيما ويستحق أجرا كبيرا ممن رباهم.

وعلى هذا النحو يكون البعض أحكم من البعض الآخر بدون أن يكون لأحد آراء خاطئة، وأنت سواء رضيت أو لم ترض ينبغى عليك أن توافق بأنك مقياس، حيث إن كل هذه الأمثلة الحية تلزمك بقبول قضيتى، وإذا أردت أن تناقش هذه القضية فلتفعل ذلك بأن تعارض مقالا بمقال آخر، وإذا فضلت المنهج الاستفهامى فليكن عن طريق الأسئلة، فهذا منهج مفضل على غيره، ولتراع فى هذه الحال قاعدة واحدة هى ألا توجه أسئلتك بروح غير عادلة، فإن العيب يكون كبيرا عندما يدعى إنسان أنه معنى بالفضيلة ، ثم يعكف فى أحاديثه على ارتكاب الظلم – ويتلخص الظلم هنا فى عدم التمييز بين المناظرة والجدل[١٥]. ففى المناظرة يمكن للواحد أن يحرج الخصم بقدر ما يمكنه، أما فى الجدل فينبغى له أن يأخذ الأمر مأخذ الجد فيقوم المحدث ويضع فى اعتباره الأخطاء التى ترجع إلى طبيعته أو إلى تربيته أو ما سبق أن تعلمه، فإن اتبعت هذا الأسلوب فإن الذين يترددون على محاوراتك لن يلوموك، بل سيلومون ١٦٨

(15) Le conteste oratoire- Diatribe.
Le discussion dialogue-Dialectikê.

أنفسهم عند ارتباكهم أو تورطهم وهم سوف يضيقون ذرعا بأنفسهم ويهربون منها ويقبلون على الفلسفة كى يتخلصوا من الطبيعة التى كانوا عليها فيتبدلون رجالا مختلفين، أما إذا فعلت العكس وحاكيت الأكثرية فإنك سوف تجنى نتائج عكسية، أما من يترددون عليك فلن يكونوا فلاسفة، بل ينقلبوا أعداء لهذا الموضوع الذى يتمسكون به عندما يتقدمون فى السن.

فإن أردت أن تستمع إلى فبالروح التى طلبناها منك سابقا وليس بالعداء والعراك بل بالفهم الحسن، وينبغى عليك وأنت تحاصر الآن بمعركة أن تدرس بإخلاص ما الذى يعنيه قولنا: إن كل شىء يتحرك، وإن ما يبدو لكل واحد منا موجود على نحو ما يبدو عليه، وحقيقى سواء بالنسبة للفرد أو المدينة. وسوف تفحص بالتالى إن كان العلم والإحساس شيئا واحد أو هما مختلفان، وليس بالطريقة التى كنت على وشك أن تلجأ إليها بأن تأخذ المعنى الدارج للعبارات والكلمات التى تتشكل عند الأكثرية بحسب أهوائها، بحيث يثير البعض البعض الآخر أو يربكون بعضهم.

ذلك ، يا ثيودورس ، ما استطعت أن أقدمه من أسانيد لصاحبك بقدر استطاعتى وبقدر إمكاناتى الضعيفة، أما إذا كان صاحبك على قيد الحياة، فقد يمكن لدفاعه أن يكون أعظم بكثير .

ثيودورس: إنك لتمزح ، يا سقراط، بل لقد أضفيت على صاحبنا بمساعدتك له روح الشباب.

س : كلام طيب ياصديقى ، ولكن لتخبرنى ألم تلاحظ ما قد ذكره الآن بروتاجوراس عندما أخذ يلومنا على أننا كنا نوجه الحديث لطفل وأننا استفدنا من مخاوف الطفل لتعارض آرائه، فسمى هذه ثرثرة وأخذ يمتدح بملء صوته نظريته فى مقياس كل شىء، ويطالبنا أخيرا بفحص قضيته جديا.

ثيودورس: كيف لم ألحظ هذا يا سقراط؟

س : فهل تطلب منا أن نوافقه إذن؟

ثيودورس: هذه هى رغبتى الشديدة.

سقراط : إذن فإنك ترى أن الجميع هنا صبية ما عداك، فإن كنا نود موافقة هذا الرجل

فعلينا أنا وأنت أن نتبادل الأسئلة والإجابات لندرس بجد قضيته حتى لا يوجه لنا على الأقل هذا اللوم بأننا كنا نفتقد هذه القضية على نحو ما يلعب الصبية الصغار من بادئ الأمر إلى آخره.

ثيودورس: وماذا إذن ؟ أليس ثياتيتوس أعظم من كثير من الرجال ذوى اللحى الطويلة، وقادرا على تتبع نقد هذه القضية خطوة خطوة.

س: ومع ذلك فهو ليس أكثر منك قدرة ، يا ثيودورس، أو هل تتصور أنه يجب على أن أقدم لصديقك الفقيد كل المساعدة التي فى قدرتى أما أنت فلا تحاول أى شيء؟! هيا بنا يا عزيزى ولتصاحبنا جزءا من الطريق حتى نصل إلى المكان ١٦٩ الصحيح الذى نعلم فيه وتكون أنت المرجع فى كل الأشكال الهندسية، أم أن الجميع فى مستواك قادرون بأنفسهم على الحكم فى الهندسة وفى الفلك وفى باقى الموضوعات التى لك فيها باع معترف به.

ثيودورس: ليس من السهل ، يا سقراط ، أن أظل جالسا بغير أن أجيب عليك ، ولقد كنت واهما للغاية حين ظننتك تصر على أن أخلع ملابسى شأن الإسبرطيين، وكان يبدو على العكس من ذلك أنك تريد أن تكون متشبثا شأن «سيكرون»[١٦]، أما الاسبرطيون فهم فى الواقع يخيرونك فإما أن تخرج أو تتعرى، ولكنك بدوت لى تلعب دور «أنتايوس» [١٧] فمن يحضر لا تتركه أبدا حتى ترغمه على خلع ملابسه كى يواجه اختبارك لقوته.

س: إن تصويرك جميل ، يا ثيودورس ، يعبر تماما عن ضعفى فالواقع أنى أشد – أيضا – من تشبيهاتك، ولقد التقيت بالعديد من أبطال الحوار، وكم من المرات أسال دمى أمثال هرقليس ، وثيزيوس ممن اشتبكت معهم. ولكنى لا أترك الساحة بسبب ذلك فبجسدى هيام عنيف بهذه الرياضة، فلا تحرمنى بدورك من هذا الهجوم الذى سيكون مفيدا لى ولك.

---

(١٦) سكيرون Sciron كان لصا يرغم من يسرق بضائعهم على غسل قدميه فى البحر ثم يركلهم فيه ليموتوا غرقا.

(١٧) أنتايوس Antaeus فى الأساطير اليونانية ابن الأرض عملاق يقوى ويكبر كلما لمس الأرض أمه، وكان يرغم الناس على منازلته فيقتلهم حتى أمكن فى النهاية للبطل هرقل أن يرفعه بعيدا عن الأرض ويقضي عليه.

ثيودورس: إنى لا أعارضك ، ولترشدنى إلى الطرق التى ترغب فيها ، إذ ينبغى على فى هذا الموضوع أن أرضخ لما تأمر به وأتحمل امتحان نقدك، ولكن فيما بعد النهاية التى حددتها مبدئيا فلن يكون فى إمكانى أن أرضخ لأمرك.

س : وإلى هذا الحد يكفى ولتحذر من شىء واحد، ألا نتورط بلا وعى منا فى أن نجعل براهيننا تكتسب صورة صبيانية حتى لا يلومنا على ذلك أحد بعد ذلك.

ثيودورس: سوف أجتهد فى تجنب ذلك بقدر استطاعتى.

النقد الثانى

يعترف بروتاجوراس بصحة الرأى الذى ينكر قيمة رأيه :

س : لنتناول المسألة هذه المرة من النقطة السابقة نفسها كى نرى إن كنا على خطأ أو على صواب. ولقد أخذنا على قضيته أنها تسمح للفرد بأن يكتفى بذاته فى موضوعات الحكمة، وعلى هذا فقد وافق بروتاجوراس على أنه فى مسألة الأفضل والأول فى القيمة يكون للبعض صدارة على الغير وفى هذا تكون الحكمة أليس هذا صحيحا؟

ثيودورس: أجل تماما.

س : فإن كان هو وأخذ يقدم لنا هذه الآراء بدلا من أن نقررها نحن المدافعين عنه فما كنا لنعود إلى هذا الموضوع ونتأكد منه، ولكن الآن يمكن أن يقال: إننا لا نملك سلطة الموافقة بدلا عنه ، ولذلك فالأفضل أن نبحث فى مواقفنا من هذا الموضوع بتوضيح أكثر إذ أن الفرق بين الموافقة والرفض فى هذا الموضوع ليس قليل الأهمية.

ثيودورس: صحيح ما تقول.

س : لنكف عن البحث عن حكام آخرين، ففى حديثه سوف نجد أقصر طريق يوصلنا إلى اتفاق.

١٧٠

ثيودورس: أى طريق، وكيف؟

س : هكذ إن ما يظهر لأى شخص فهو كذلك، وأظن أنه يوافق على ما يظهر له؟

ثيودورس: هذا ما يؤكده.

س : إننا ، أيضا ، يا بروتاجوراس ، نقول بآراء لشخص أو لجميع الناس ونؤكد أنه لا يوجد من لا يعتقد فى نفسه أنه أحكم من غيره فى تلك الموضوعات وأنه أقل من غيره فى موضوعات أخرى. ولا يوجد واحد على الأقل فى المحن كالحرب والمرض وعواصف البحر لا يعتبر المعلمين فى كل هذه الموضوعات فى مصاف الآلهة ويرى فيهم منقذين، فى حين أنهم لا يمتازون عن الغير فى هذا إلا بالمعرفة.

ويمكن أن نقول : إنه فى كل أنواع النشاط الإنسانى يوجد كثير من الناس الباحثين عن معلمين وقادة لأنفسهم أو لكل ما يحيا حولهم أو فيما ينبغى أن يعلموه وآخرون من الناس يعتقدون فى أنفسهم القدرة على التعليم أو الرئاسة. فماذا نقول عن كل هذه المظاهر غير أن الناس أنفسهم يظهرون أنهم مقتنعون بأن الحكمة والجهل يوجدان بينهم.

ثيودورس: هذا هو ما يقال.

س : أليست الحكمة فى رأيهم فكرا صحيحا[١٨] والجهل ظنا خاطئا[١٩].

ثيودورس: كيف نشك فى ذلك.

س : ففيم اذن يفيدنا هذا الحوار ، يا بروتاجوراس ؟ أتقول إن ظنون الناس تكون دائما صحيحة أم تكون صحيحة تارة وخاطئة تارة أخرى؟! إن الإجابة على الحالتين تنتهى إلى القول بأن آراءهم ليست دائما صحيحة، بل صحيحة تارة وخاطئة تارة ولتبحث ، يا ثيودورس ، عم إن كنت ترضى وتوافق أنت أو أى تابع آخر على القول بأنه لا يوجد إنسان يصف غيره بالجهل أو يعد أحكامه خاطئة؟

ثيودورس: هذا غير معقول يا سقراط.

س : ومع ذلك فإن قضية أن الإنسان هو المقياس تنتهى إلى هذه النتيجة التى لايمكن تجنبها.

ثيودورس: وكيف ذلك؟

---

(١٨) فكر Dianoia, pensée

(١٩) ظن Doxa. Opinion.

س : عندما يكون حكمك الخاص عن موضوع ما متبعا لرأى بروتاحوراس يكون هذا الحكم صحيحا بالنسبة لك، أما بالنسبة لنا نحن الآخرين ألا يجوز لنا أن نحكم بدورنا على الحكم الذى قدمته أم يتحتم علينا أن نقرر دائما أن حكمك صحيح؟ ألا ترى بالعكس أن المعارضين يمكن أن يعتبروا حكمك وآراءك خاطئة؟

ثيودورس: أظنهم آلافا حقيقية بحق زيوس كما يقول هوميروس وانهم ليسببون لى كل الهم الذى فى العالم.

س : وإذن هل ينبغى علينا أن نقول لك باستئذانك : إن آراءك هى حقيقة بالنسبة لك وانها بالنسبة لهذه الآلاف خاطئة؟

ثيودورس: يبدو أن هذا أمر لا يمكن تجنبه اذا سلمنا بهذه القضية.

س : لكن النتيجة التى سوف ينتهى إليها بروتاجوراس نفسه إذا ما رفض قضية الإنسان المقياس شأنه فى ذلك شأن العدد الأكبر من الناس الذين يرفضونها، ١٧١ أفلا تكون هذه الحقيقة التى يدعيها فى كتابه غير موجودة بالنسبة لأى شخص؟ وإذا فرضنا أنه يعتقد فيها ولكن الناس كافة يرفضون الاعتقاد فيها وإن عدد من ينكرون صدقها سوف يفوق عدد من يوافقون عليها، ألا يبدو أنها ستكون خاطئة بقدر ما يكون عدد المنكرين أكبر من عدد الموافقين؟

ثيودورس: هذا ضرورى على الأقل إذا كان صدقها أو كذبها يتوقف على رأى كل شخص !

س : هاك أخطر ما فى الموضوع. إن بروتاجوراس حين يسلم بأن رأى كل إنسان صادق لابد إذن أن يعترف بأن رأى معارضيه الذين يعتقدون بأن آراءه خاطئة هو رأى صحيح.

ثيودورس: تماما:

س : وإذن فإنه سوف يسلم بأن رأيه خطأ ما دام قد اعترف بصدق رأى من يعتبرونه مخطئا.

ثيودورس: بالطبع

س : ولكن ألا يعترف الآخرون بأنهم – أيضا – مخطئون؟

ثيودورس: كلا بالتأكيد.

س : أما هو فبالعكس يعترف أن رأيهم صحيح، فهذا هو ما يفهم من كتاباته.

ثيودورس: أظن هذا.

س : فمن كل جهة سوف توجد معارضة لرأى بروتاجوراس، بل ان بروتاجوراس نفسه يوافق على كل رأى معارض له. بل ان بروتاجوراس نفسه يسلم بأنه لا يوجد كلب ما وعابر سبيل ليس مقياسا لأى شيء لم يعلمه أليس هذا صحيحا؟

ثيودورس: هذا صحيح.

س : ما دام الأمر كذلك فالحقيقة التى يدعيها بروتاجوراس لن تكون صحيحة فى رأى شخص ولا عنده هو نفسه.

ثيودورس: إن فى هذا تجنيا على صديق ، يا سقراط.

س : لكن ليس فى هذا تجن على الحق. فهناك احتمال على الأقل أن الأكبر يكون أكثر حكمة ، وإذا نهض فجأة على ظهر الأرض فإنه سوف يكشف عن كثير من السخافات التى تلفظت بها وأكدتها أنت بموافقتك عليها ثم يجتهد فى الفرار بأقصى سرعة وأظن أنه علينا أن نقول ما يبدو لنا فى كل المناسبات إذا كان الأمر كذلك، ألا يجدر بنا الآن أن نؤكدأن النتيجة التالية سوف تفرض على الجميع أيا ما كانوا أنه يوجد الأحكم من الآخر كما يوجد الأكثر جهلا ؟

ثيودورس: هذا هو رأيى.

س : ألا ينبغى علينا أن نؤكد – أيضا – هذا الموقف الذى يستقيم مع القضية ، وهو الذى شرحناه عندما كنا ندافع عن بروتاجوراس ؟ إنه فى أغلب الأحوال تكون الأشياء بالنسبة لكل واحد بحسب ما تظهر له سواء كانت حارة أو جافة أو حلوة أو لها أى صفات أخرى من هذا القبيل ، ولكن إذا كانت هناك حالة من الحالات يصدق عليها القول إن شخصًا ما يكون أكثر امتيازا من آخر فإنها تلك الحال التى تتعلق بمسائل الصحة والمرض، إذ ليس فى مقدور أى امرأة أو أى صبى أو أى حيوان أن يحدد لنا ما هو صالح له ويأخذ فى علاج نفسه بنفسه.

ثيودورس: هذا – أيضا – رأيى الخاص.

س : وفى السياسة ألا يكون الجميل والقبيح والعادل والظالم، والتقى والفاسق وكل ما تعتقد المدينة أنه كذلك وتشرعه يبدو حقيقيا بالنسبة له،وعندئذ لا يفضل ١٧٢ فردًا فردًا ولا مدينة مدينة فى الحكمة، ولكن فيما يتعلق بالفائدة والضرر اللذين يعودان على المدينة من قوانينه،فإنه يصدق هنا القول أن هناك اختلافا فى الرأى من مستشار إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى بحيث يصعب القول أن ما تراه المدينة يكون كذلك لكن فيما يتعلق بموضوعات العدل والظلم والتقى والفسق فإن الناس توافق على القول إنه لا شيء من هذا موجود بالطبع وأن له جوهرا ذاتيا، بل إن ما يبدو للجماعة صحيحا يصير صحيحا منذ لحظة ظهوره وطالما ظل يظهر لهم على هذا النحو إلى هذا الحد ينتهى رأى من لا يسيرون مع بروتاجوراس إلى نهاية الشوط، أما بالنسبة لنا نحن ، يا ثيودورس ، فإن الدليل يتبع الدليل والأخير منها أهم من السابق عليه.

(الفيلسوف والحكماء فى هذا العالم)

ثيودورس: أليس لدينا فراغ لبحث ذلك ، يا سقراط؟

س : أجل فكثيرا ، يا صديقى المدهش ، ما خطرت فى ذهنى الفكرة نفسها بالنسبة لموضوعات أخرى كما تخطر لى الآن، ففى أغلب الأحيان يبدو أولئك الناس الذين يقضون حياتهم فى البحث الفلسفى خطباء مضحكين عندما يحضرون المحاكم.

ثيودورس : فماذا تبغي قوله ؟

س : عندما نعقد مقارنة بين الذين قضوا حياتهم منذ صباهم في المحاكم والمرافعات وبين من تربوا على البحث الفلسفي والدراسات الأخرى يبدو الفريق الأول بالنسبة للآخر كالعبيد بالنسبة للأحرار.

ثيوودوس : وكيف ذلك ؟

س : بالنسبة لهؤلاء الآخرين ، الأحرار يكون الفراغ اللازم للبحث موجودا

دائما بحيث تتم أحاديثهم في سلام ، لتنظر إلينا الآن إنها المرة الثالثة التي نتدارس فيها الحديث تلو الحديث ، وكذلك هم يفعلون إذا ما خطر لهم موضوع وسرهم أكثر من الموضوع القديم ولا يضيرهم طول الأدلة ولا قصرها طالما يبغون الوصول إلى الحقيقة ، أما الآخرون فلا يتحدثون إلا بوصفهم قوما يراعون الزمن الذي يجري جريان المياه ولا ينتظر شيئا وليس لديهم الحرية الكافية للاسترسال في موضوع حديثهم ، إذ أنهم خاضعون لسلطة الخصم الذي يقيده بالنقاط التي ينبغي أن يحصر نفسه فيها . انهم ليسوا سوى عبيد يدافعون عن عبيد أمام سيدهم الذي يجلس ممسكا بدعوى معينة فصراعهم لا يتصف بالحياد بل له غرض شخصي مباشر وغالبا ما تتعلق حياتهم بهذا الحوار وبسبب ذلك تزداد طاقتهم على العمل وتتقد لباقتهم وتجعلهم مهرة في الكلام وفي أساليب العمل التي تسر الرؤساء وتخلب ألبابهم ولكن نفوسهم تصبح لهذا السبب وضيعة ملتوية ، فالتعود على العبودية منذ الصغر يسلبهم النماء ١٧٣ والاستقامة والحرية ويعرض نفوسهم الغضة لمخاطر بالغة ومخاوف لا قبل لهم بمعارضتها بقوة العدل أو الحق فيلجأون إلى الكذب والظلم وينحنون ويكررون الانحناء ثم ينكمشون ولذلك لا يبقى في فكرهم شيء سليم عندما يتجاوزن الصبا ويبلغون مبلغ الرجال ويظنون أن مكرهم وحكمتهم قد بلغت الكمال . هاك هو وضعهم – أى ثيودورس – أتبغى أن أصف لك جماعة الفلاسفة التي تنتمي إليها أم نترك هذا لنعود إلى حوارنا حتى نتجنب المبالغة فيما كنا نتحدث عنه الآن من إفراط في استعمال حريتنا عندما ننتقل بسهولة من حديث إلى آخر ؟

ثيودورس : كلا ، أبدا ، يا سقراط ، إن هذا الوصف واجب علينا ، وقد أحسنت في الواقع بقولك : إننا نحن الذين نكون هذه الجماعة لسنا مرتبطين بالبحث ارتباط العبيد ، إن الأحاديث تابعة لنا ويظل كل منها رهن إشارتنا حتى يحلو

لنا أن نفرغ منها فلسنا في محكمة تحت بصر قاضٍ أو شاهد كما اننا لسنا بشعراء مسرحيين نواجه جمهورا ناقدا لنا .

س : لنتحدث عن كبار الفلاسفة ما دمت راغبا في ذلك ، إذ ما هي فائدة أن نتحدث عن أولئك الذين لا يبدعون في الفلسفة أيمكن أن أقول عن هؤلاء إنهم يجهلون منذ صباهم أي طريق يقود إلى ساحة المدينة وأين توجد المحكمة أو مجلس الشعب أو إلى أى مكان للاجتماع العام في المدينة ، كما أنهم لا يعنون بسماع أو قراءة أي قرارات أو وثائق قوانين ولا يهتمون بمشاحنات الأحزاب السياسية وفي الاجتماعات والاحتفالات ، أما التنصت للاعبات الناي فإنهم لا يحلمون حتى بالمشاركة فيه ![20] ولا ينشغل الفيلسوف بكل ما يحدث للمدينة من خير أو من شر أو بما ورثه الأحفاد عن جدوّدهم الرجال والنساء من فساد ، لا تشغله هذه الأمور أكثر مما يشغله عدد البراميل التي يملأها ماء البحر كما يقول المثل ، بل لا يحس أبدا بجهله بكل هذه الأمور ، لأن امتناعه عن المشاركة فيها ليس من قبيل الزهو ، فالواقع أن الذي له وجود واقامة داخل المدينة هو جسده فقط ، أما فكره فيعد كل هذا هراء وسخفا ويطوف محلقا فوق السماء وتحت الثرى على حد قول بنداروس باحثا في السماوات ليقيس مساحتها وليتابع سير النجوم وليبين طبيعة كل شيء في مجمله بغير أن يهبط إلى ما هو قريب منه مباشرة .

ثيودورس : ماذا تعني بهذا الكلام ، يا سقراط ؟ ١٧٤

س : كذلك ، يا ثيودورس ، كان طاليس يراقب النجوم فوقع في بئر وهو شاخص ببصره إلى السماء ، ويقال إن فتاة تراقية كانت تراقبه فضحكت من ذلك الذي يبذل جهده ليعرف ما يجري في السماء ، في

---

(٢٠) قارن هذا الكلام بحديث كاليكليس فى محاورة جورجياس ٤٨٤ الذى يصف المشتغلين بالفلسفة بأنهم ينتهون إلى الجهل بأمور السياسة والحديث فى المجتمعات العامة والخاصة وبالمسرات واللذات الدنيوية وبعادات الناس وتقاليدهم.

حين أنه لا يرى موقع قدميه ، وينطبق هذا التشبيه على كل من يقضون حياتهم في الفلسفة ، والواقع أن مثل ذلك الرجل لا يعرف من القريب أو الجار ولا يعرف ما الذي يعمله هذا ولا إن كان رجلا أو كان من صنف حيوان آخر ،بل هو يبحث ما الإنسان وأي شيء ينبغي أن تتميز هذه الطبيعة عن غيرها في فعلها أو انفعالها ؟ كذلك يكون بحثه ويكون الاستقصاء الذي يكرس له جهوده ، ألست تفهم يا ثيودورس أم أني قد أخطأت ؟!

ثـــيـــودورس : أظن ما تقوله حق.

س : على هذا النحو يكون ، يا صديقى ، فيلسوفنا سواء فى الحياة العامة أو فى الأمور الخاصة كما قلت فى البداية، وعندما ينبغي عليه أن يعالج أشياء تحت قدميه ، قيد بصره ، في المحكمة أو في غيرها فإنه لا يدفع نساء تراقيا إلى الضحك منه فحسب بل كل الجمهور إذ يترك نفسه للسقوط من بئر إلى بئر ومن ارتباك إلى ارتباك لقلة خبرته وشدة بلادته اللتين تكسبانه مظهر الغبي . وفي المعارك لا يمكنه توجيه ما ينبغي من السباب لأنه لا يعرف شيئا عن الشر المنتشر بين الناس لأنه أغفل تعلم مثل هذه الأشياء ولذلك يظل قليل الحيلة مضحكا ، وعند المديح أو المباهاة التي يعجب بها الآخرون فإنه لا يتصنع الضحك . وقد يضحك بطريقة واضحة إلى حد أنه يؤخذ على أنه مستهتر ، فإذا سمع مديحا يكال لطاغية أو ملك فإنه يظنه مديحا موجها لراعي غنم أو سائق خنازير أو بقر إذ يظن أنه يسمع ثناء عليهم لما يجلبونه من حليب ، إذ يظن القطيع الذي يرعاه هؤلاء أصعب مراسا مما يرعاه الملوك والطغاة لذلك فهم مضطرون لأن يكونوا أكثر غلظة من الرعاة في مرابط الغنم ووسط الجبال إذ ينقصهم الفراغ في ملجئهم المغلق بالحوائط ، واذا قيل له : إن لأحد ما عشرة آلاف ذراع [٢١] من الأرض

(21) acres

أو أكثر وإن هذا يكون ملكية وفيرة يبدو له هذا الوصف بسيطا ، لأنه متعود على استشراف الأرض كلها، أما عن الأنساب التى يزهو بها الناس عن عراقة أصل فلان الذي يمكنه أن يرجع بنسبة إلى سبعة جدود من الأغنياء يستعرضهم فإنه يحكم على من يتباهون بذلك بأن ١٧٥ بصرهم كليل قصير وأنهم قوم يمنعهم نقص تعليمهم من أن يوجهوا نظرهم إلى وجهة شاملة وأن يقوموا بهذه الحسبة وهي أن للأسلاف ولآباء الأسلاف آلافا وآلافا لا يمكن حصرها سواء كانوا أغنياء أو شحاذين ، ملوكا أو عبيدا . برابرة أو إغريقا وأنه كان لهم عشرة آلاف وعشرة آلاف آخرين في سلالة أي كان من الناس .

فإذا تعاظم أحد بأن له سلسلة من الأسلاف تصل إلى خمسة وعشرين جدا وأنها تنتهي إلى هرقل بن أمفتريون [٢٢] فهو لا يرى في هذا سوى أعدادا ضئيلة للغاية ، فالجد الخامس والعشرون لا مفتريون نفسه كان حسب ما يتصادف مع أنه الجد الخمسون لهذا الرجل ذى الخمسة والعشرين جدا الذي لم يتحدث عنه . وإنما يسخر الحكيم من أولئك الذين لا يعرفون هذا الحساب ولا يتخلون عن السخف الذي يملأ أوداجهم . وفي كل هذه المناسبات يكون أضحوكة العامة سواء اشتد في احتقاره لما يعتقدون أو كان لا يرى ما تحت قدميه أو ظل جاهلاً بالأمور الواقعية .

ثـــيـــودورس : كذلك تكون الأشياء كما تقول ، يا سقراط .

س : لكن يا صديقي ، إذا استدرج فيلسوف أحدا من الناس يوافقه على اتباعه في بحثه وسأله : أي خطأ فعلته أنا أو أذى سببته أنت لي ثم جعله يفحص ما العدالة في ذاتها؟ وما الظلم في ذاته؟ وما طبيعة كل منهما؟ وبم يختلف أو يتميز عن غيره ؟ أو بحث في سعادة الملوك بما

---

(٢٢) هو أشهر أبطال الأساطير اليونانية ينسب له اثنا عشر عملا بطوليا.

لهم من كنوز من الذهب وانتهي في البحث في الملكية وفي السعادة والشقاء الإنساني في معانيها وفي حقيقتها والطرق التي تناسب الطبيعة الإنسانية حتى تحصل بعضها وتتجنب الآخر ، عندما يكون الذي له تلك النفس الضئيلة المشاكسة مضطرا إلى الإجابة عن هذه الأسئلة فإن الوضع ينقلب وعليه أن يقوم بدفع التعويض ، فرأسه هو الذي يدور في علو شاهق قد علق فيه وهو يسقط من السماء إلي أعماق لم يتعود عليها فيحدث له دوار ولا يجد ما يقوله فلا ينطق إلا بالهذر ويصبح أضحوكة لا للنساء التراقيات ولا لغيرهن فحسب من عديمي الثقافة ، بل لكل من تربى تربية مخالفة لتربية العبيد كذلك تكون شخصية الواحد والآخر ، يا ثيودوروس . فالواحد منهم الذي تربى على الحرية الحقيقية والفراغ هو الذي نسميه فيلسوفا ويمكن أن يظهر ساذجا ولا ينفع في شيء ما عندما يفشل في الأعمال الخاصة فلا يعرف مثلا كيف يثبت غطاء الأسرة وكيف تقام المآدب أو تهذب الأحاديث المنمقة ، أما الآخر فيمكن أن يؤدي جميع الأعمال بمهارة وسرعة ولكنه لا يعرف كيف يرفع معطفه على الكتف اليمنى على نحو ما يفعل الحر من الرجال ، ولا أن يتقن الأحاديث التي تميز حياة ١٧٦ السعادة الحقيقية للآلهة والبشر.

ثـــيـــودورس : اذا أمكنك أن تقنع الجميع بما أقنعتني به الآن من كلام ، يا سقراط، لساد السلام ونقص الشر بين البشر.

س : لكن من المستحيل ان ينتفى الشر ، يا ثيودورس ، اذ سوف يبقي دائما مقابلا للخير ، ومن المستحيل – أيضا – أن يحل في عالم الآلهة ، بل إنه يغزو هذا العالم الأرضي والطبيعة الفانية . وهكذا يتضح أنه ينبغي علينا أن نسرع بالهروب من هنا إلى العالم العلوى ففي هذا الهروب تشبه بالآلهة بقدر المستطاع ، وأن هذه المشابهة تتم بأن نصبح عادلين وأتقياء القلوب . والمهم هنا الذى لا يسهل إقناع العامة

بـه هـو أن الـدافـع إلى الـتـحـلـى بـالـفـضـيـلـة وتجنب الشر ليس مجرد اكتساب الشهرة . واتخاذ مظهر الفضيلة على نحو ما تقول الثرثارة من النساء وإنما هـاك هى الحقيقة بهذا الصدد ، ليس الله بأي حال من الأحوال غير عادل بل هو على العكس من ذلك عدل مطلق ولا يدانيه من كان منا عادلا بقدر الإمكان فبالنظر إلى وجود هذه الصفة أو عدمها تقدر قيمة الإنسان وقدرته الروحانية .

ومعرفة هذا الأمر هي التي تكون الحكمة والفضيلة الحقة ، أما التظاهر بالفضيلة والحكمة وبالميزات الأخرى المختلفة عند الطبقة الحاكمة فإنما هو نوع من الحقارة والضعة أشبه بالقدرة الآلية عند أهل الصنعة ولا ينبغي أن نخشى من مكر من يرتكب الظلم والفسق في أحـاديـثـه وأعـمـالـه لأن مـثـل هـؤلاء الـنـاس يتبـاهـون بـأنـهـم رجـال قادرون على مواجهة الحياة العامة ، وليسوا فارغين أو ثقالا وإنما ينبغي أن يقال لهم الحقيقة وهو إنهم يتوهمون ما ليس فيهم وأنهم يجهلون ما ينبغي لهم أن يعرفوه جيدا ألا وهو أن عقوبة الظلم ، ليست مجرد آلام جسدية أو موت قد يحدث أحيانا أن يفلتوا منه بل هو عقاب واقع لا مفر منه .

ثـــيـــودورس : وأي عقاب تقصد ؟

س : هناك نموذجان ، يا صديقي ، يوجدان في عالم الحقيقة الأول إلهي سعيد أما الثاني فهو خلو من روح الله كله تعاسة . وهم لا يتبينون ذلك لأن شدة جـهـلـهـم تمنـعـهـم مـن الإحساس بـأنـهـم إنما يـتشبـهـون بـالمـثـال الـثـانـي حين يـرتـكـبـون الـظـلـم ويـبـعـدون عن المـثـال الأول وحياتهم بأكملها التي تشبه المثال الثاني هى عقاب لهم .

١٧٧ ولكن إذا أخبرناهم بأنهم لم يتخلصوا من تعاستهم فإن المكان النقي من كل شر لن يتقبلهم بعد موتهم وإنما سوف يجتمعون على هذه الأرض بأشباههم ، لأن الأشرار يصاحبون الأشرار ، فلا شك

بأن هؤلاء المراوغين المهرة لن يصدقوا هذا التحذير ويصفوننا بالسذاجة.

ثـــيـــودورس : هذا مؤكد يا سقراط .

س : هذا هو ما أعلمه ، يا صديقي ، ولكن ثمة مشكلة يحسون بها ، اتجاه الفلسفة – ذلك الموضوع الذي يعيبونه علينا – وهم يذكرون ذلك فيما بينهم وإذا ما واتتهم الشجاعة الكافية فاستمروا في المناقشة بدلا من أن يهربوا منها فإنهم يجدون قضيتهم التي يدافعون عنها قضية خاسرة ، وينتهون إلى الصمت كالأطفال. لكن كل هذا الكلام ليس إلا استطرادًا فلنتركهم هنا حتى لا يجرفنا سيل الموضوعات التى نستطرد إليها بعيدا عن موضوعنا الأصلى ، ولنرجع ثانية إلى حيث كنا .

ثـــيـــودورس : بالنسبة لي، يا سقراط ، فإني لا أكره سماع هذه الموضوعات إذا كنت تريد فلنرجع أدراجنا.

تفنيد الدفاع عن بروتاجوراس

رجعة إلى النقد : قضية الإنسان المقياس وأحكام المستقبل

س : أظن أننا بلغنا النقطة التالية : فقد ذكرنا قول البعض إن الوجود دائم التغير ، وفى رأي هؤلاء أن ما يبدو لكل واحد هو حقيقي في كل مرة يبدو له فيها ، ومن بين ما يدعونه – أيضا – بكل حماسة أن كل ما تعده الدولة عادلا فإنه يظل عادلا بالنسبة للدولة التي شرعته طالما ظل قرارها قائما ، أما إذا تعلق الأمر بالخير ، فلا يوجد من يجرؤ على التمسك بهذه القضية التي تفضي إلى القول بأن ما تظنه الدولة مفيدا لها فإنه يكون مفيدا في حقيقته طالما ظل تشريعها قائما إن لم يكن يعني باسم المفيد شيئا آخر ولكن هذا سوف يحول كلامنا هزلا .

ثـــيـــودورس : تماما.

س : فلنتجنب الحديث عن الاسم ولنبحث في المعني الذي هو وراءه .

ثـــيــودورس : حسنا جدا .

س : أليس الذي تسميه المدينة باسم – المفيد – هو الذي تقصده عندما تشرع قوانينها؟ ألا تعتقد أن القوانين التي تشرعها مفيدة لها للغاية عندما تشرعها ؟ أم تقصد شيئا آخر عندما تشرع ؟

ثـــيــودورس : لا شيء .

س : أتدرك هذه الغاية أم توجد حالات تخطئ فيها المدينة هذه الغاية!

ثـــيــودورس : يحدث أحيانا أن تخطئ .

١٧٨

س : سوف يضطر الجميع إلى قبول النتائج لو أننا اتبعنا هذا المنهج – أي أن نتناول الموضوع الذي يشمل الفئة الكبيرة التي يدخل المفيد ضمنها ، وأن هذه الفائدة الكبيرة لتمتد فى الواقع لتشمل المستقبل من الزمان ، فعندما نشرع نحن نعمل حساب الفائدة المستقبلة والذي سوف يكون مفيدا هو تعبير صحيح .

ثـــيــودورس : تماما .

س : وهاك الموضوعات التي سوف تثيرها بالنسبة لبروتاجوراس وكل الآخرين الذين يتبعون القضايا نفسها . تقول، يا بروتاجوراس : إن الإنسان هو مقياس كل شيء ، مقياس الأبيض والخفيف والثقيل وكل الانطباعات المماثلة بغير استثناء ، وعنده في نفسه المعيار الذي يرجع إليه وهو يعتقد أن الأشياء تكون كما يحس بها ، وبالتالي يظنها حقيقة عنده وموجودة بالنسبة له ، أليس هذا صحيحا ؟

ثـــيــودورس : أجل .

س : وفيما يتعلق بالمستقبل منها ، أتقول ، يا بروتاجوراس ، إن عنده المعيار نفسه الذي سوف تكون عليه ، وإنها سوف تحدث على النحو نفسه الذي يعتقد أنها ستكون عليه . فبالنسبة للحرارة مثلا إذا ظن المريض أن حرارته سوف ترتفع فتصل إلى درجة معينة ، في حين

يتوقع شخص آخر العكس كالطبيب مثلا فعلى أي نحو يكون الأمر في المستقبل وتبعا لرأي أي منهم؟ هل وفقا لرأى الأثنين معا ؟ فبالنسبة لاعتقاد الطبيب لن يكون المريض في النهاية مرتفع الحرارة ولا في حمى أما المريض فيتوقع أن يحدث له كلا الأمرين [٢٣] .

ثـيـودورس : سيكون هذا أمرا غير معقول .

س : أظن أنه بالنسبة لما سيكون عليه النبيذ من حلاوة أو مرارة في المستقبل فإن رأي المزارع هو الذي سوف يكون له قيمة وليس رأي لاعب القيثارة .

ثـيـودورس : وكيف ذلك ؟

س : بالنسبة لتوافق أصوات أي معزوفة موسيقية أو عدم توافقها هل يكون رأي مدرب الرياضة فيها أفضل من رأي الموسيقار ؟

ثـيـودورس : كلا بكل تأكيد .

س : وفي أثناء الاستعداد للمآدب هل يمكن للمتذوق غير الخبير بالطهي أن يصدر حكما يفوق حكم الطاهي فيما يتعلق بطهي الطعام الذي سيكون؟

إننا لا نناقش ما هو موجود حاليا لكل واحد وإنما ما سوف يكون مذاقه في المستقبل هل يصير الحكم – أيضا– لكل واحد بحسب ما يبدو له؟

ألست ، يا بروتاجوراس ، أفضل الحكام على الأقل فيما يتعلق بإقناع الخطابة التي تجري في المحاكم ؟

ثـيـودورس : بكل تأكيد ، يا سقراط ، ففيم يتعلق بهذا على الأقل فانه سوف يفضل الجميع.

س : أي والله ، فلو لم يكن الأمر كذلك لما أقدم أحد على دفع مبالغ طائلة ١٧٩ مقابل الاستماع إليه ، وما لم يكن قد أقنع الذين أتوا إليه ، بأنه لا يوجد

---

(٢٣) انظر أرسطو (الميتافيزيقا ١٠١٠ب١١–١٤) إذ يذكر هذا المثل المستمد من أفلاطون فيقول : إن رأى الجاهل لا يتساوى برأى الخبير فى الطب إذا ما تعلق الأمر ببرء المريض أو عدم برئه.

أحد حتى لو كان عرافا يمكنه أن يعرف خيرا منه ما سوف يقع في المستقبل .

ثـــيـــودورس : هذه هي الحقيقة الخالصة .

س : أليس في فن التشريع علاقة بالفائدة المقبلة ؟ أليس من المسلَّم به عند الجميع أن أي مدينة تشرع للمستقبل غالبا ما تخطئ معرفة الأفضل ؟

ثـــيـــودورس : بالتأكيد .

س : فلن يضيرنا شيء عندما تذكر لمعلمك أنه يجدر به أن يعترف بأن بعض الناس أحكم من بعضهم ، وأن الأحكم هو المقياس لكني أنا من حيث إني لا أعرف شيئا لا يجدر بي أن أكون مقياسا بأي حال من الأحوال وإن كان الدفاع عن بروتاجوراس قد وضعني في هذا الموقف سواء رضيت أو لم أرض .

ثـــيـــودورس : يبدو لي ، يا سقراط ، أن هذا هو أهم ما يؤخذ على هذه النظرية . ولكنها تحتوي على ثغرات أخرى إذ إنها تسلم بصحة آراء الآخرين الذين لا يجدون فيما يقرره صديقنا أي حقيقة .

س : وهناك مآخذ كثيرة ، يا ثيودورس ، سوف تضطرنا إلى رفض النظرية التي تقول بأن أي رأي لأي شخص هو رأي حقيقي ، أما عندما يتعلق الأمر بالانطباع الذاتي الوقتي ، وعن مصدر الإحساسات والآراء التي تحدث له نتيجة لهذه الإحساسات فسوف يكون من الصعب أن نحكم بنقصها ، بل ربما كانت أمورا لا يمكن رفضها . لأن من يؤكدون وضوحها ويعدونها علوما ربما كانوا على حق ، وعلى ذلك فإن ثياتيتوس لم يخطئ الرأي عندما قال بوحدة الإحساس والعلم لذلك ينبغي علينا أن نلم بالموضوع عن قرب كما نصحنا الدفاع عن بروتاجوراس وان نفحص هذا الوجود المتحرك باختبار معدنه لنرى هل يؤكد الصدق الناتج سلامة المعدن أم يكشف عن تصدعه؟ إن المعركة الدائرة حوله الآن لا ينقصها الحرارة ولا المقاتلون .

ثالث: محاولة فى النقد

تفنيد الحركة الشاملة (نقد مذهب هرقليطس) :

ثـيـودورس : لا شك أن الحماسة زائدة خاصة على ساحل أيونية عند أتباع هرقليطس الذين يتمسكون بالقضية التي يذكرها وهم مستمرون فيها بقوة بالغة .

س : وهو سبب أدعى ، يا عزيزي ثيودورس ، كي نفحصها بأن نعود إليها هذه المرة في أصولها وكما يقدمونها هم أنفسهم .

ثيـاتيـتوس : بكل تأكيد ، ففي الواقع يا سقراط إن مناقشة نظريات هرقليطس أو كما يقول هوميروس ، أو من هم أسبق منهما من رجال ، أفسوس الذين يدعون بأنهم خبراء بها ليس أمرا أيسر مما لو كنت تخاطب قوما قد جن جنونهم ، فهم وفقا لما يذكرونه في كتبهم لا يكفون عن التغير بحيث لا يطيقون الثبات لمتابعة أي دليل أو سؤال أو حتى تبادل الأسئلة والإجابات ، فقدرتهم على السكون والثبات تكاد تصل إلى ١٨٠ درجة العدم . بل أقل من العدم فإن وجهت لهم سؤالا فإنهم يستخرجون من جعبتهم عبارات ملغزة يقذفونها لتتطاير في وجهك مثل السهام فإن طالبتهم بتفسيرها فما أسرع ما تجد نفسك قذفت بغيرها ، وإنك إزاء معنى آخر جديد فلا تصل إلى نتيجة مع أي أحد منهم ، لأنهم على هذه الحال – أيضًا – فيما بينهم وبين أنفسهم ولأنهم معنيون كل العناية بعدم إتاحة الفرصة لأي شيء كي يثبت ويستقر ، سواء في أدلتهم أو في عقولهم ، وأظنهم يعتقدون لو أن هناك شيئا ثابتا فإنهم سوف يشنون عليه حربا عارمة ويستبعدونه عن الوجود بقدر ما يستطيعون .

س : ربما تكون قد رأيت هؤلاء الناس، يا ثيودوروس ، في معاركهم ولكنك لم تتصل بهم في ساعات هدوئهم ، لأنهم ليسوا رفقاءك وأظنهم يقومون بتفسير هذه النظريات في أوقات فراغهم للتلاميذ الذين يبغون أن يجعلوا منهم صورة لأنفسهم .

ثـيـودورس : لأي تلاميذ ، يا صديقي الممتاز ؟ إذ ليس بينهم من هو تلميذ لآخر وإنهم لينبتون بمفردهم فيتلقون إلهامهم المتباين من أي ريح تهب ، وكل واحد منهم يعد غيره عديم المعرفة بشيء . وأود أن أقول : إنهم لن يصاحبونك لا بمحض إرادتهم ولا على مضض ، لذا ينبغي أن نتناول الموضوع وندرسه كما لو كنا نحل مشكلة .

س : هذا اقتراح مقبول ، أما عن المشكلة أليس القدماء أول من نقلوها الينا حين حجبوا فكرتهم عن العامة بالصور الشعرية ، فقالوا : إن مصدر كل شيء هو المحيط وتيثيس[٢٤] وأنها المياه الجارية وأن لا شيء ثابت ، أما من جاءوا بعدهم فمن الواضح أنهم كانوا أكثر منهم علما حين برهنوا على ذلك بوضوح لحد إن الأسكافية – أيضا – يمكنهم عند سماعهم أن ينفذوا إلى حكمتهم وأن يكفوا عن الاعتقاد الواهي في موجودات ثابتة وأخرى متحركة ، وأن يعلموا على العكس من ذلك أن الكل يتحرك وهم يكرمون من يستمدون منهم هذه التعاليم ولكن كدت أنسى ، يا ثيودورس، أن الآخرين قد عارضوهم بتعاليم أخرى ومثالها: أن الحقيقة واحدة ثابتة ، وأن الوجود هو اسم يطلق على الكل، وأقوال أخرى كثيرة يقولها مليسوس[٢٥] وبارمنيدس في معارضة هؤلاء ، ويؤكدون أن الكل واحد ثابت في ذاته ، وإنه لا يحل في مكان يتحرك فيه . وفي مواجهة كل هؤلاء يا صديقي ما هو موقفنا ؟ لقد تقدمنا خطوة خطوة بغير أن نلاحظ فوجدنا أنفسنا قد وقعنا بين الفريقين وما لم نجد وسيلة للهرب بأية طريقة فعلينا أن ١٨١ ندفع عن أنفسنا الضربات شأن من تركوا أنفسهم وسط حلبة المصارعة فتنازعهم الفريقان المتصارعان ، وينبغي لنا في رأى أن نبدأ بفحص قضية هؤلاء الذين هاجمونا من البداية ، أنصار التغير ،

---

(٢٤) OCEANUS المحيط هو أقدم نهر صدرت عنه مياه البحار والأنهار وهو مبدأ كل شيء عند هوميروس وزوجه هى TETHYS تيثيس.

(٢٥) ميلسوس وبارمنيدس فلاسفة أيليون أنكروا الحركة والتعدد وقالوا : إن الوجود واحد ثابت.

فإذا ظهر لنا قيمة ما يقولونه فسوف نوجه جهدنا في الإتجاه نفسه الذي يجذبوننا إليه ونحاول الهرب من قبضة الآخرين ولكن إذا بدا لنا أن من يقولون بثبات الكل أقرب إلى الحقيقة فسوف نجد لديهم ملاذا يحمينا ممن يقولون بالحركة ، وإذا ظهر لنا أن الفريقين لا يقولون ما هو مناسب فسوف نكف عن قيمة ما هو موجود نحن عديمي المعرفة بعد أن نطقنا بحكم الاستبعاد على أناس محترمين في السن وفي الحكمة . لننظر إذن ، يا ثيودورس، إذا كان هناك فائدة من المغامرة في هذه الأخطار ؟

ثـيـاتـيـتـوس : بالطبع ليس من المعقول، يا سقراط، أن نكف عن البحث فيما يدعيه هؤلاء الناس .

س : يبدو أن البحث يفرض نفسه ما دمت راغبا فيه بكل هذه الحماسة ، وفي رأيي، أن السؤال المبدئي للبحث في الحركة هو هذا : ماذا يمكن أن نقوله عندما نؤكد أن الكل يتحرك ؟ وهاك هو ما أقصده : أينبغي أن نتكلم عن نوع واحد من الحركة أم عن نوعين ؟

لكن لا تدعني وحدي أقدم رأيي ، ولتأخذ نصيبك في المغامرة ولتخاطر من جهتك أنت – أيضا– حتى نكون شركاء في الجزاء ، ولتقل لي هل تسمي تغيير المكان حركة ، شأن الدوران في المكان نفسه؟

ثـيـودورس : أجل في ظني .

س : أليست هذه هى أول صورة ؟ ولكن أليس صحيحا إذا ما بقى شيء في مكانه ثم أصابته الشيخوخة أو التحول من الأبيض إلى الأسود أو من اللين إلى الصلابة أو التحول بأي تحول آخر أن توجد هنا صورة أخرى من الحركة ؟

ثـيـودورس : بالنسبة لى يبدو لى هذا على الأقل صحيحا .

س : بل هو مؤكد، إن هناك صورتين من الحركة هما الاستحالة وحركة النقلة (٢٦)

---

(٢٦) هذا التقسيم فى محاورة بارميدس (١٣٨). حركة النقل Phora-translation الحركة eKinêsis-mouvement الاستحالة Métabolê-altération

ثـــيـــودورس : حق ما تقول .

س : وبعد أن انتهينا من هذا التمييز لنلم بأطراف الحوار مع هؤلاء الذين يدعون أن الكل يتحرك ولنسأل : أتقولون إن الكل يتحرك بهاتين الحركتين حركة النقلة وحركة الاستحالة أم أن جزءا منه يتحرك بالحركتين وجزء آخر بحركة واحدة فقط ؟

ثـيـاتـيـتـوس : لكن ، والله ، لا أعرف ماذا أقول ؟ أظنهم سوف يقولون إن كل شيء يتحرك بالحركتين .

س : أجل ، يا صديقي، وإلا فإن ما يبدو لهم يتحرك سوف يبدو لهم – أيضا – ثابتا ، ولن يكون لهم بذلك أي حق في العبارة القائلة : إن الكل ثابت.

ثـيـاتـيـتـوس : ما أصدق قولك .

س : فما دام من الضروري أن يتحرك الكل وإلا تغيب الحركة عن كل شيء، ١٨٢ فكل شيء يتحرك بكل أنواع الحركة دائما .

ثـــيـــودورس : بالضرورة .

س : لنبحث هذه النقطة في نظريتهم ، ألم نقل إنهم قد وصفوا تولد الحرارة والبياض وكل الصفات مهما كانت على النحو الآتي تقريبا : أنه يتم لها حركة النقلة في المكان عند حدوث الإحساس المقابل لها في تلك المسافة التي تقع بين الفاعل والمنفعل ، فالمنفعل يصبح حاسا وليس إحساسا والفاعل يصبح متصفا بصفة وليس هو الصفة ؟ وربما كانت هذه الصفة اسما غريبا وغير متداول في نظرك وغير مفهوم في مجموعه لذلك سوف أوضح لك بالأمثلة . فالفاعل لا يصبح حرارة ولا بياضا وإنما حارا أو أبيض وكذلك بالنسبة لكل شيء ، اذ أظنك تذكر ما كنا نقوله مسبقا من أنه ليس هناك ما هو فى حد ذاته محددا ، لا الفاعل ولا المنفعل بل يصبحان كذلك بعد اتصالهما ببعضهما الواحد بالآخر ليحدثا الإحساسات والمحسوسات، فيصير الفاعل منهما متصفا بصفة معينة ، أما المنفعل فيصير حاسا .

ثـــيـــودورس : نعم طبعا ، إني أذكر هذا .

س : حسن إذن ، وبالنسبة لباقي التفصيلات فلن تهتم بمعرفة على أي نحو يفسرونها أما الموضوع الذي نحن بصدد تفسيره فلنضعه نصب أعيننا ، ولنسأل : هل يتحرك كل شيء ويسيل باستمرار ؟ [٢٧] .

ثـــيـــودورس : أجل .

س : ألم نفرق بين نوعين من الحركة : النقلة والاستحالة ؟.

ثـــيـــودورس : بلى ، ما داما في تغير مستمر .

س : فإذا لم يوجد إلا حركة النقلة دون حركة الاستحالة ، فهل يجوز لنا إذن أن نذكر الكيفيات التي تكون موجودة فيها عندما نتحرك بهذه الحركة؟

ثـــيـــودورس : بلى .

س : لكن ما دام لا يوجود هنا ما هو ثابت ، وأن ما هو في حركة لا يتحرك، بل يتغير ، أيضا ، حتى إن البياض نفسه يكون في حركة ويتغير إلى لون آخر فكيف إذن نطلق عليه اسم لون محدد ونكون واثقين أننا نسميه تسمية صحيحة؟

ثـــيـــودورس : وكيف هذا ، يا سقراط ؟ كيف يمكن لأي صفة من الصفات أن تعرف باسم معين ما دمنا بمجرد ما نتحدث يفلت منا الشيء الذي نتحدث عنه بسرعة، لأنه يسيل بحسب تعريفك ؟

س : وماذا تقول عن الإحساسات الأخرى أيا كانت أبصارا أو سمعا مثلا ؟ هل تظل لها طبيعة الإبصار أو السمع ؟

ثـــيـــودورس : لا ينبغي أن نقول ذلك بكل تأكيد ما دمنا اتفقنا على أن كل شيء يتحرك.

س : فلا ينبغي أن نسميها إبصارا أكثر مما نسميها عدم إبصار ولا نعين أي إحساس آخر على أنه إحساس أكثر منه غير إحساس ، ما دام كل شيء يتحرك بكل أنواع الحركة .

ثـــيـــودورس : كلا لا ينبغي .

---

(٢٧) السيلان flow-ecoulement

س : ومع ذلك فبحسب ما سلمنا به ، أنا وثياتيتوس ، يكون الإحساس هو العلم.

ثـــيـــودورس : أجل هذا ما كنتما تؤكدانه

س : وفي هذا الحال نجيب على من يسألنا ماهو العلم إننا لا نعني بالعلم ١٨٣ شيئا آخر غير اللاعلم.

ثـــيـــودورس : يبدو هذا .

س : وإنها لنتيجة رائعة كللت مجهودنا في تحسين الإجابة عندما أخذنا في البرهنة على صدقها بإضافة الحركة الدائمة لها . وهاك الصورة التي توصلنا إليها وهي تتلخص في قولنا: إذا تحرك كل شيء ، فإن أية إجابة نقدمها لأي موضوع ستكون صحيحة ، فالقول إنها كذلك أو إنها ليست كذلك يتساويان ، أو إذا أردت أن نتجنب إضفاء صفة الثبات على كلامنا نقول: لن تصير كذلك .

ثـــيـــودورس : كلامك صحيح .

س : ماعدا ، يا ثياتيتوس، قولنا كذلك ، أو ليس كذلك إذ لا ينبغي أن نقول «كذلك» لأنها كلمة تنفى الحركة ، ويبقى على من يدعون هذا المذهب أن يشتقوا لأنفسهم لغة أخرى ، إذ ليس لديهم حاليا أية لفظة توافق آراءهم . ربما عبارة «ليس على هذا النحو»ستكون أكثر العبارات تطابقا لمدلولها المعين.

ثـــيـــودورس : إنها أكثر العبارات مناسبة لهم .

س : كذلك ترانا قد وفينا ما التزمنا به نحو صديقك ، يا ثيودروس ، فبعد أن انتهينا من موافقته على أن الإنسان هو مقياس كل شيء بشرط أن يكون إنسانا ذا فكر (٢٨) لن نسلم له بأن العلم هوالإحساس على الأقل طالما التزمنا بالمثل القائل: إن كل شيء يتحرك ، هذا ما لم يكن لثياتيتوس اعتراض آخر يقدمه .

---

(28) Phronimos homme de sens.

ثـــيـــودورس : ما أحسن قولك ، يا سقراط ، لأنه إذا انتهى هذا الموضوع فسوف أكون في حل من الإجابة على أسئلتك وبمجرد ما تبلغ مناقشة قضية بروتاجوراس نهايتها نكون قد وصلنا للحدود المتفق عليها .

س : كلا ، يا ثيودورس ، حتى تنتهي أنت وسقراط من البحث الذي وعدتنا به الآن فيما يدعيه القائلون بأن كل شيء في ثبات .

ثـــيـــودورس : أشاب مثلك ، يا ثياتيتوس، يعلم الشيوخ النكوص من تعهداتهم ؟ كلا، إن الأجدر بك أن تعد نفسك لبحث ما بقى على سقراط أن يبرهن عليه .

ثـــيـــــا : سوف يسعدني هذا إذا رغب سقراط وإن كنت أفضل سماع هذا الموضوع .

ثـــيـــودورس : عندما تدعو سقراط للحوار فكأنما تدعو الفرسان للنزال في ساحة الوغى ، وليس عليك إلاأن توجه إليه الأسئلة وستكون لك هذه المتعة .

س : ولكن لا أظنني ملبيا دعوة ثياتيتوس ، يا ثيودورس ، فى الموضوعات التى تحدث عنها

ثـــيـــودورس : ولم لا تريد ؟

س : أخشى المخاطرة بالقسوة على مليسوس وغيره من القائلين بأن الكل واحد ثابت وبخاصة بارمنيدس ، إذ يبدو لي بارمنيدس أشبه ببطل كما يقول هوميروس «مبجل عندي بقدر ما هو مهاب» ، ولقد قابلت هذا الرجل عندما كنت شابا وكان هو شابا وبدا لي ذا أعماق سامية ، ولذا فإني أخشى أن تظل كلماته غير مفهومة لنا وأن يتجاوز فكره فهمنا كما أخشى ان أرى الموضوع الذي تسبب في نقاشنا وهو تعريف العلم قد أغفل إزاء غزو الأدلة الصاخبة بمجرد أن نفتح لها الباب من جهة أخرى فإن الموضوع الذي تثيره في هذه الساعة هو على قدر كبير من التعقيد ولا يصح أن نأخذه على أنه مجرد موضوع فرعي وقد يترتب على التعمق في بحثه أن يتشعب الموضوع فنهمل مسألة العلم ، وعلينا أن ١٨٤

نتجنب هذا الخطر ، والأحرى بنا أن نتجه إلى ثياتيتوس وتصوراته عن العلم ونحاول أن نولده بواسطة ما لدينا من فن في التوليد .

ثـيـودورس : هذا ما ينبغي علينا ان نفعله ما دمت ترى أنه الأفضل .

أخر محاولة للنقد

المعرفة بواسطة النفس

س : حسن إذن يا ثياتيتوس ولنعد إلى البحث في نقطة ما من الموضوع السابق ألم تقل بأن الإحساس هو العلم ؟

ثـيـا : أجل .

س : اذا سئلت : بأي شيء يرى الإنسان الأبيض والأسود ؟وبأي شيء يدرك أو يسمع الألحان أو العميق من الأصوات أفلا تقول بالأعين وبالآذان ؟

ثـيـا : أجل .

س : فسهولة التعامل بالألفاظ والعبارات، وإهمال الدقة المتناهية ليست دليلا على قلة التهذيب ..بل الأولى أن يكون العكس ، لكننا نضطر إلى ذلك بعض الأحيان، كما هو الحال، في حالتنا الحاضرة ، مثلا عندما نتناول إجابتك فلتفكر إذن ما هى الإجابة الأصح ؟ أتقول إن الأعين هى ما نرى بها أو إنها الوسائل التي نرى من خلالها ، وإن الآذان هى ما بها نسمع أو إنها الوسائل التي نسمع من خلالها ؟

ثـيـا : أظن أنها الوسائل التي ندرك من خلالها [٢٩] كل الإحساسات ، يا سقراط، ولسنا ندرك بها.

س : وسيكون في الواقع غريبا ، يا صديقي الفتى ، أن تستقر فينا مجموعة من الإحساسات ، كما لو كانت جنودا مخبأة في جياد طروادة الخشبية ولا يكون هناك طبيعة واحدة – (نفس أو أي شيء تريد) – تتجمع فيها كل الإحساسات وبها ندرك موضوعات الإحساس من خلال أعضاء الحس.

---

(29) Through.

ثـــــيـــــا : يبدو لي أن هذا التفسير أصح من الآخر .

س : إن ما أبغي تفسيره يتلخص في معرفة الآتي : هل فينا قوة ثابتة ندرك بها الأبيض والأسود من خلال الأعين وندرك المحسوسات من خلال الحواس الأخرى؟ وهل يمكنك أن ترجع كل هذه الإحساسات إلى الجسم؟ وقد يكون الأفضل أن تجيب أنت مباشرة بدلا من أن أجتهد أنا فى الإجابة بدلا منك . أليست كل هذه الحواس التى تدرك بواسطتها الحار أو الجاف أو الخفيف أو الحلو أجزاء من الجسم ؟ أم أنها أجزاء من شىء آخر ؟

ثـــــيـــــا : لا شىء آخر .

س : أتوافقني على التو على أن ما ندركه بواسطة ملكة معينة لا يكون مدركا بواسطة ملكة أخرى ؟ وأن الإدراك الذي يأتيك بالسمع لا يمكن أن يأتيك عن طريق البصر وأن الإحساس الذي يأتيك بالبصر لا يمكن أن يأتيك بواسطة السمع .

١٨٥

ثـــــيـــــا : كيف يمكن رفض هذا القول !

س : وإذا تصورت محسوسين في وقت واحد بإدراك مشترك فإن هذا الإدراك المشترك لا يأتيك بعضو واحد من أعضاء الحس .

ثـــــيـــــا : بالطبع لا .

س : وكذلك فيما يتعلق بالصوت وباللون ، أتدرك بفكرك الصفة الأولى أم كليهما ؟

ثـــــيـــــا : كليهما طبعا .

س : وبالتالي يكون كل واحد منهما مختلفا عن الآخر ولكن هو بذاته ؟

ثـــــيـــــا : أجل بالطبع .

س : إنهما اثنان في مجموعهما ، وكل واحد في حد ذاته واحد .

ثـــــيـــــا : أجل أيضا .

س : فهل أنت قادر على تمييز اختلافهما وتشابههما ؟

ثـــــيـــــا : بلا شك .

س : فبأي عضو إذن تفكر في هذه الموضوعات ؟ إذ إنه ليس بواسطة السمع أو البصر تدرك ما هو مشترك بينهما . وهاك ما يشهد على قولى : لنفرض أنه أمكن البحث عما إذا كان الصوت واللون مالحين أو غير مالحين ، فمما لا شك فيه أنك تستطيع أن تذكر لي القدرة التي تدرك بها هذه الملوحة ، ومن الواضح طبعا أنها ليست قدرة الإبصار ولا السمع ، بل غيرهما ؟

ثـــيـــا : طبعا لا ، إنها القدرة التي يكون اللسان آلتها .

س : حسنا ما تقول ، ولكن بأي عضو تعمل القدرة التي تكشف لك عما هو مشترك ، لا بين هذه المحسوسات فحسب بل المشترك بين كل الأشياء التي تشير اليها بفعل الكينونة – أي أن يكون أو لا يكون (٣٠) وكل الألفاظ التي ذكرتها في هذا الموضوع في أسئلتنا الأخيرة : فأي الأشياء تنفعل بهذه المشتركات وتتدخل في إدراك كل منهما ؟

ثـــيـــا : أتبغي الحديث عن الوجود واللاوجود، عن التشابه واللاتشابه عن الذاتية والاختلاف ، عن الوحدة وعن الكثرة التي تنطبق على هذه الموضوعات ؟. وواضح – أيضا– أن سؤالك يتناول الفردي والزوجي وكل التصورات الأخرى التي هى من هذا القبيل أي أنك تسأل بواسطة أي عضو جسماني يتم للنفس ادراك هذه الأشياء .

س : إنك لتتابع بمهارة يا ثياتيتوس وذلك هو بالضبط ما أسأل عنه .

ثـــيـــا : لكن ، والله ، يا سقراط، إني أكاد أن أجد إجابة ، غير أنه في رأيى أن المشتركات ليس لها عضو خاص بها شأن المحسوسات ويظهر لى أن النفس بذاتها هى التي تحدث هذه المعرفة بالمشتركات في كل الموضوعات.

س : إنك لوسيم، يا ثياتيتوس ، لقد أخطأ ثيودروس عندما وصفك بالقبح ، فإن الحسن هو من يحسن الكلام ، وإنك لست وسيما فحسب ، بل محسنا لما تقدمه لي من وفرة في الأدلة إذا ما ظهر لك حقا أن هناك بعض

---

(30) estin-est-ıs

المعلومات تعرفها النفس بطريقتها الخاصة في حين أن المعلومات الأخرى ترجع إلى القوى الأخرى للجسم ، وقد كان هذا في الواقع رأيي الخاص ، ولكني رغبت في أن توافقني – أيضا – على هذا الرأي .

ثـــيـــا : وهذا – أيضا – ما يبدو لي .

س : ففي أى مكان تضع إذن الوجود ؟ إذ أن له أكبر قدر من اتساع المدلول [٣١] ١٨٦

ثـــيـــا : إني لأدرجه في عداد هذه الموضوعات التي تحاول النفس إدراكها بذاتها وبغير واسطة .

س : ألا تعامل التشابه واللاتشابه والذاتية والاختلاف المعاملة نفسها ؟

ثـــيـــا : وأيضا – الحسن والقبيح والخير والسيىء ؟

ثـــيـــا : هذه هى الصفات التي تقوم النفس بالبحث في وجودها وبمقارنتها ببعضها عندما تضع في اعتبارها الماضي والحاضر وتتوقع المستقبل .

س : لنتوقف هنا ، أليس باللمس تحس النفس بصلابة الصلب وليونة اللين على السواء .

ثـــيـــا : بلى .

س : لكن أليست النفس ذاتها هى التي تقدم لنا الأحكام بوجودهما وبازدواج وجودهما وبتعارضهما ووجود هذا التعارض وذلك عندما نفكر فيها ونقارن الواحد منها بالآخر .

ثـــيـــا : بكل تأكيد .

س : ألا يتوفر للبشر وللحيوان – بمجرد أن يولدوا بالطبيعة – القدرة على الإحساس بكل الإحساسات التي تتجه نحو النفس بواسطة الجسد ؟ لكن التفكير في هذه الإحساسات فيما يتعلق بوجودها وفائدتها ، إنما يحصل لمن يحصلونها بعد جهد طويل في الدراسة .

ثـــيـــا : هذا صحيح .

س : فهل يمكن لمن لايصل إلى الوجود أن يدرك الحقيقة ؟

---

(٣١) يقول عنه فى محاورة السفسطائى (٢٤٣). إنه أكبر التصورات ورئيسها وأنه يتخلل كل الأجناس (٢٩).

ثـــيـــا : مستحيل طبعا .

س : وحين لا تصل إلى الحقيقة هل يمكن أن يوجد علم ؟

ثـــيـــا : كيف يمكن هذا ، يا سقراط .

س : فالعلم لا يقوم على الإحساسات ، بل يستند إلى تعقل الإحساسات إذ به يمكن أن نصل إلى الوجود وإلى الحقيقة لكن بغيره لا يمكن .

ثـــيـــا : هذا ما يبدو.

س : هل نسمي الشيئين المختلفين باسم واحد ؟

ثـــيـــا : كلا، لا يمكن .

س : فبأي اسم تسمي الشيء الأول الإبصار والسمع والشم والإحساس بالبرودة والحرارة ؟

ثـــيـــا : أسميه الإحساس ، فهذه هي تسميتي أو هل هناك اسم آخر ؟

س : أي أنه الاسم الكلي الذي تسمي به كل هذه الإحساسات .

ثـــيـــا : نعم .

س : فإذا نسب الإحساس لأي شخص فلا يعني ذلك أنه يدرك الحقيقة ، إذ لا يصل الإحساس إلى الوجود .

ثـــيـــا : كلا بالطبع .

س : ولا يبلغ بالتالي العلم .

ثـــيـــا : ولا هذا – أيضا .

س : ولا يمكن أن يحدث ، يا ثياتيتوس ، أن يصير الإحساس والعلم شيئا واحدا؟

ثـــيـــا : يبدو أن هذا غير ممكن ، يا سقراط ، والآن فقد ثبت بكل وضوح ممكن أن العلم مختلف عن الإحساس .

س : لكن أكان الموضوع الأصلي هو أن نعلم ما لا يكون علما أم نعرف ما هو العلم ؟ ومع ذلك فقد حققنا تقدما واضحا وجديا حين تبينا ألا نبحث في الإحساس بل في ذلك الفعل الذي تقوم به النفس عندما تعكف على ذاتها

عندما تأخذ في دراسة الموجودات أيا كان الاسم الذي تطلقه على هذه العملية (٣٢) .

ثـــيـــا : أظن أن اسم هذا الفعل ، يا سقراط ، هو الحكم (٣٣) . ١٨٧

س : إنك لعلى حق فيما تظن يا صديقي ، ولتنظر الآن من جديد في المشكلة ، لتلغ كل ما سبق لنا قوله ، وحاول أن ترى بوضوح ابتداء من النقطة التي توصلت إليها ، لتذكر لي مرة أخرى ما هو العلم ؟

---

(٣٢) إن لهذا الفعل مرحلتين : مرحلة الفكر الاستدلالى Pensee discursive ومرحلة الحدس intuition ، ولم يتعرض بحث أفلاطون فى هذه المحاورة إلا للمرحلة الأولى فقط، ولعل هذا هو سبب فشل هذه المحاورةفى الوصول إلى تعريف للعلم بالوجود–أو تعقل المثل.

(٣٣) الحكم Doxazein, juger-making judgement

التعريف الثاني

العلم هو الظن أو الحكم الصادق

التعريف الثاني

العلم هو الظن أو الحكم الصادق[1]

ثيـاتيتوس : من المستحيل أن نقول : إنه أي نوع من أنواع الحكم ، يا سقراط ، إذ أن الحكم الخاطئ موجود- أيضا ، ولكن هناك احتمال بأن يكون الحكم الصادق علما ، فلتسلم أن إجابتى هى على هذا النحو ، أما إذا تقدم بنا النقاش فغير من نظرتنا الحالية فسوف نحاول أن نجد صيغة أخرى .

س : هاك اذن ما يجب أن يقال ، يا ثياتيتوس ، وبثقة بدلا من أن تأخذ في التردد كما كنت تفعل في البداية . لأن المخاطرة بالبحث تنتهي إلى أحد أمرين ، فإما أن نجد الحل الذي كنا نبحث عنه أو أن نكف عن الاعتقاد في معرفة ما نجهله تماما ، ولا يجدر بنا أن نقلل من قيمة هذا الكسب ، فما هو قرارك الحالي ؟ إن هناك صورتين من الحكم : الأولى صادقة والثانية خاطئة . ألست تعرف العلم بأنه الحكم الصادق؟

ثـــيـــا : بلى، في رأيي أن هذه هى الفكرة التي تبدو لي في هذه الساعة .

س : فهل يستحق الأمر فيما يتعلق بالحكم أن نرجع إلى نقطة معينة ؟

ثـــيـــا : أية نقطة تبغي الحديث عنها ؟

س : هناك موضوع حيرني الآن، وقد سبق أن شغلني كثيرا .وسبب لي اضطرابا كبيرا سواء في تفكيري الخاص أو مع الغير ، إذ لا يمكنني أن أذكر طبيعة هذا الموضوع الذي نتعرض له ولا بأية طريقة يحدث[2] لنا ؟

ثـــيـــا : وما هو هذا الموضوع ؟

---

(١) تعنى كلمة Doxa هنا الحكم أكثر منها الظن كما فى ترجمة Dies و Comrngord

(٢) العارض الحادث Tropon,-accident

س : إنه الحكم الخاطيء ، إذا أردنا أن ننظر فيه الآن فإني أتردد اذا كان الأفضل أن نتركه جانبا أو أن نبحث عنه بطريقة أخرى غير التي سرنا عليها حتى الآن .

ثـيـا : لم نتردد ، يا سقراط، إذا ما ظهر لنا أن البحث ضروري ؟ فمنذ لحظة ، عندما كنت تتحدث أنت وثيودورس عن الفراغ كنتما تقولان في الواقع إن لا شيء في هذه المناقشات مفروض علينا .

س : إنك على حق في تذكيري بذلك وربما يكون من المناسب أن نعود إليه كما يقال على التو ، إذ يبدو لي أن من الأفضل أن نتمم عملا صغيرا من أن نحدث ضجة جوفاء .

ثـيـا : هو كذلك طبعا .

س : وكيف نضع السؤال إذن على الوجه الصحيح ؟ ففي كل الحالات التي نتحدث فيها عن الحكم الخاطئ عندما نقول : إن أحدنا يحكم حكما صادقا والآخر خاطئا ،هل نؤكد أن هذا التمييز قائم في طبيعة الأشياء ؟.

ثـيـا : إننا نؤكد هذا في الواقع .

س : ألسنا وفقا لهذا الاحتمال إما عارفين أو غير عارفين بالموضوعات كلها ١٨٨ أو بعضها ، أما أن نعلم وننسى ما قد علمناه فهذه مسألة تقع بين الحالتين السابقتين وهو موضوع أؤجله الآن ، لأنه لا يتعلق بالدليل الحالي .

ثـيـا : ففي هذه الحال ، لم يبق بالنسبة لكل سؤال إلا أن نعلم أو لا نعلم .

س : ألا يترتب على ذلك أن كل فعل تفكير يقع عند كل من يقوم به، إما على ما يعلم أو على ما لا يعلم؟

ثـيـا : هذا هو بالضرورة .

س : أي أنه من المستحيل ألا نعلم ما نعلمه أو نعلم ما لا نعلمه ؟

ثـيـا : مستحيل طبعا .

س : أيمكن إذن بواسطة الحكم الخاطئ أن نأخذ الأشياء التي نعرفها لا على نحو ما هي عليه، بل على أنها أشياء أخرى نعرفها ؟ وإنه بمعرفتنا بعضًا من الأشياء فإننا نجهل مع ذلك بعضها الآخر ؟

ثـــيـــا : لكن ذلك مستحيل ، يا سقراط .

س : ألا يمكن أن نأخذ الأشياء التي لا نعرفها على أنها أشياء أخرى لا نعرفها على الإطلاق ، أي يمكن إن لم نكن نعرف لاثياتيتوس ولا سقراط أن ننتهي إلى أن سقراط هو ثياتيتوس وإن ثياتيتوس هو سقراط ؟

ثـــيـــا : يمكن ذلك .

س : لكن لا يمكن أن نعد ما نعرفه غير معروف لنا ، ولا أن نعد ما لا نعرف معروفا لنا .

ثـــيـــا : كلا ، وإلا فإنه سيكون أمرا عجبا .

س : فبأي طريق آخر يمكن أن يتكون الحكم الخاطئ ؟ فإذا صرفنا النظر عن هذه الفروض فمن المستحيل أن يحدث أي حكم كان ، حيث إنه سيكون لدينا ، إما معرفة أو لا معرفة ولن يكون الحكم الخاطئ ممكنا فيما عدا هذه الحدود .

ثـــيـــا : لا، لن يكون ممكنا على الإطلاق .

س : ألا ينبغي أن نوجه بحثنا وجهة أخرى بدلا من أن نستمر في وضع التعارض بين المعرفة وعدم المعرفة ، أن ننظر في الوجود واللاوجود ؟

ثـــيـــا : ماذا تعني ؟

س : هذا هو التفسير الأسهل ، إن كان الحكم يثبت ما ليس له وجود على الإطلاق فهو الحكم الخاطئ،أيا كان تفكير من يحكم به .

ثـــيـــا : إن هذا محتمل يا سقراط .

س : لكن كيف نجيب يا ثياتيتوس على من يعترض علينا بقوله : هل تقولون إن هناك شيئا ممكنا بالنسبة لأي شخص ؟ هل يستطيع الإنسان أن يفكر فيما ليس موجودا بالمرة سواء بالنسبة لشيء معين أو على الإطلاق ؟ لابد

أن نجيب على المعترض بقولنا «نعم إذا كان هذا الرأي يعتقد في شيء ليس صحيحا على الإطلاق » أو ماذا يمكن أن يقال؟

ثـيـا : ذلك هو تماما .

س : أو هل هناك حالات أخرى يحدث فيها الشيء نفسه ؟

ثـيـا : وما هي ؟

س : أن يرى أحدهم شيئا ما في الوقت نفسه الذي لا يرى فيه شيئا .

ثـيـا : وكيف ذلك ؟

س : لأن من يرى شيئا معينا إنما يرى شيئا من الموجودات أو هل تظن شيئا ما أنه من الأشياء التي لا وجود لها ؟

ثـيـا : كلا بالطبع .

س : فمن يرى شيئا معينا إنما يرى شيئا معينا موجودا .

ثـيـا : هذا واضح.

س : ومن يسمع شيئا معيناً إنما يسمع شيئا له وجود.

ثـيـا : أجل.

س : وكذلك من يحكم فإنما يحكم على شيء معين. ١٨٩

ثـيـا : بالضرورة .

س : وعندما يحكم على شيء معين فإنما يحكم على شيء موجود .

ثـيـا : هذا هو ما أوافق عليه .

س : أما من يحكم على ما ليس له وجود فهو لا يحكم على أى شيء .

ثـيـا : بالتأكيد.

س : ولكن عدم الحكم على أى شيء يعنى عدم الحكم على الإطلاق.

هذا هو ما يبدو بوضوح.

س : فمن المستحيل إذن أن نحكم على ما ليس موجودا سواء بالنسبة لشيء معين أو على الإطلاق .

ثـيـا : هذا هو ما يظهر .

س : فالحكم الخاطىء هو شيء آخر غير الحكم على أشياء لا وجود لها .

ثـــيـــا: يظهر أنه شيء آخر .

س : فالحكم الخاطئ ليس ممكنا إذن لو اتبعنا هذه الطريقة أو اتبعنا الطريقة الشائعة.

ثـــيـــا: كلا بالطبع .

س : فهل ينشأ الحكم بالطريقة الآتية ؟

ثـــيـــا: بأية طريقة ؟

الخطأ بالإبدال :

س : إننا نصف الحكم بأنه خاطىء عندما يخلط الإنسان في ذهنه بين موجود وموجود آخر ، فهو في هذه الحالة يضع موجودا محل موجود آخر ، وما دام لا يصيب الهدف يسمى هذا بالحكم الخاطئ .

ثـــيـــا : يبدو لي أن تفسيرك صحيح تماما ، فعندما تحكم مثلا على ما هو جميل بأنه قبيح وما هو قبيح بأنه جميل فإنما نحكم حكما خاطئا .

س : إني أراك ، يا ثياتيتوس، قد بدأت تتخلص من شعور الهيبة والخشية مني .

ثـــيـــا : فيم هذا على وجه الخصوص ؟

س : أظنك تحسبني لن أهاجم قولك : بالتفكير الصحيح فيما هو خاطئ ، ولا أسألك عما إن كان السريع يوصف بالبطئ والخفيف بالثقيل ، وإن كانت كل الأشياء الأخرى تتنكر لطبيعتها الخاصة لتسلك في اتجاه الطبيعة المضادة لكنني سوف أكف عن النقاش حتى أبرر جرأتك ، فهل ترى أن الحكم الخاطىء هو الخلط بين الأشياء؟

ثـــيـــا : أرى ذلك .

س : هل تظن أنه من الممكن أن نضع في فكرنا شيئا بدلا من شيء آخر .

ثـــيـــا : هذا ممكن طبعا .

س : وعندما يقع الفكر في هذا الخلط ، أيفكر عندئذ في الشيئين معا أم في واحد من الاثنين ؟

ثـيـا : لا بد أن يفكر في الاثنين معا سواء كانا مجتمعين أو واحدا بعد الآخر .

س : كلام ممتاز ، لكن هل تسمي ماا أقصد ، بهذا الاسم تفكيرا ؟

ثـيـا : ما الذي تسميه بهذا الاسم إذن ؟

س : هو حوار توجهه النفس لذاتها طوال بحثها في الأشياء التي تبحثها ، وانني لأعرض عليك هذا التفسير بوصفي إنسانا لا يعلم شيئا على ١٩٠ الإطلاق ولكن أتصور أن النفس عند قيامها بعملية التفكير فإنها لا تفعل شيئا آخر سوى أن توجه لذاتها حوارا على شكل أسئلة تجيب عليها تارة بالإيجاب وتارة بالنفي وعندما تصل إلى قرار سواء بسرعة أو ببطء فإنها تتأكد منه ولا تعود تشك فيه ، وهذا هو ما نسميه بالحكم ، والحكم تعبير صامت لا للغير بل للذات أو ماذا تقول ؟

ثـيـا : موافق على ذلك .

س : ويظهر لي أن من يأخذ شيئا ما بدلا من الآخر إنما يؤكد لنفسه أن الواحد منهما هو الآخر .

ثـيـا : وكيف ذلك ؟

س : لتتذكر إذا ما كنت قد قلت لنفسك على نحو بالغ التأكد أن الجميل هو نفسه القبيح وأن الظالم هو العادل . وفضلا على ذلك – أيضا – لتبحث إذا كنت قد أخذت على عاتقك أن تقنع نفسك بكل تأكيد أن الواحد هو الآخر وإن لم يكن حقا إنه على العكس ، ولم تجرؤ ولا حتى فى الحلم على أن تقول لنفسك وبطريقة مؤكدة أن الأعداد المفردة زوجية أو أية عبارة من هذا النوع .

ثـيـا : حق ما تقول .

س : أتعتقد أن أى واحد سواء كان، سليما أو مجنونا تواتيه الجرأة على أن يؤكد لنفسه بجد أو يحاول أن يقنع نفسه أن الثور هو الحصان أو أن الاثنين شيء واحد .

ثـيـا : لا أظن ذلك أبدا .

س :إذا كان الحكم والحوار مع النفس شيئا واحدا، فلا يمكن لأحد إذن أن يذكر لنفسه أو أن يحكم بأن أحدهما هو الآخر طالما كان يحدث نفسه ويحكم على شيئين معا، وينبغي أن تسلم لى أنت – أيضا– بهذه العبارة وهى أن لا أحد يمكنه أن يحكم [٣] بأن الجميل قبيح أو أن المتقابلات الأخرى تختلط.

ثـيـا : إني أسلم بما تراه، يا سقراط، وأوافق على رأيك هذا.

س :أي إذا فكر الإنسان في شيئين معا، فمن المستحيل أن يحكم على الواحد بأنه الآخر ؟

ثـيـا : هذا ما يبدو.

س : ومن جهة أخرى إذا لم يفكر إلا في شيء واحد ولم يخطر الآخر في ذهنه أبدا فلن تحكم علي الإطلاق بأن الواحد هو الآخر.

ثـيـا : حق ما تقول، إذ سوف يترتب على ذلك أن تتصل النفس بما هو غائب عن وعيها.

س : والنتيجة أنه من المستحيل أن يقع خلط في الحكم سواء فكر الإنسان في شيئين أو شيء واحد، وبالتالي فإن تعريف الحكم الخاطئ بأنه وقوع خلط في الحكم لن يعني شيئا، ولا يبدو لنا أن الحكم الخاطئ يكون على النحو ولا على الصورة التي سبق أن رفضناها.

ثـيـا : يبدو أنه ليس كذلك.

س : ومع كل، يا ثياتيتوس، إن لم نستطع أن نبين أن الحكم الخاطئ موجود فسوف نقع في عدد كبير من المفارقات [٤].

ثـيـا : أيها مثلا ؟

س : لن أذكرها لك قبل أن أنتهي تماما من بحثي، اذ سوف نخجل من أنفسنا إذا ما اضطرنا اضطرابنا في هذه النقطة إلى الوقوع فى المغالطات التي أتحدث عنها، لكن اذا ما تم لنا الاكتشاف فعندئذ فقط نتخلص من اضطرابنا ونتحدث عن هذه المغالطات بصفتها منسوبة إلى الغير، في

(3) Doxazein, juger.
(4) Absurdités.

حين أننا نكون بمنأى عن أي مأخذ يؤخذ علينا ، أما اذا بقى اضطرابنا ١٩١ بغير نتيجة فسوف نصبح مهزومين ، وعلينا أن نستسلم للبرهان يفعل بنا ما يشاء كبحار يخوض فوق قوم غلبهم دوار البحر ومع ذلك فإنني أجد مخرجا أنفذ منه إلى بحثي فلتسمع :

ثـيـا : لنتحدث بوضوح .

س : لا أنكر أننا كنا على حق حين سلمنا بما سلمنا به من أنه لا يمكن أن نأخذ ما نعرف على أنه غير معروف لنا ، وبهذا نخطئ . لكن مع ذلك فهناك ثغرة يمكن معها أن يكون ذلك ممكنا.

ثـيـا : أتريد ان تتحدث فيما خطر ببالي عندما كنا نفسر الواقع بالمثال الآن : وهو أنه قد يحدث لي احيانا أنا الذي عرف سقراط أن أرى من بعيد شخصا لا أعرفه ثم آخذه على انه سقراط الذى أعرف ؟ ففي أحوال مثل هذه يقع نوع من الخلط الذي وصفته .

س : ألم نستبعد هذا التفسير لأنه يجعل مما نعرف جهلا في الوقت نفسه الذي هو فيه معرفة ؟ .

ثـيـا : بلى حقا.

س : فلا نأخذ هذا على أنه حل ، وذاك حلا آخر على العكس من ذلك وربما نجد فيه بعض الثبات والموافقة . ولكن لا ينبغى بعد الحد الذي وصلنا إليه أن نترك برهانا ما بغير أن نقلبه على كل الوجوه لكي نختبره ولتنظر إذا كان هناك شيء له اعتبار بما سوف أقول : هل من الممكن أن نتعلم شيئا ، إذا لم نكن قد عرفناه من قبل ؟

إبدال التذكرات : انطباعات الشمع :

ثـيـا : أجل طبعا .

س : ثم نعرف شيئا آخر وشيئا آخر غيره بعد ذلك ؟

ثـيـا : ولم لا؟

س : لنفرض إذن على سبيل الجدل أنه يوجد في نفوسنا طبقة من الشمع وأنها

تكون عند أحدنا تارة أغزر أو أخف منها عند الآخر وقد تكون عند الواحد أنقى أو أكثف من غيره أو تكون بمقدار معتدل عند البعض .

ثـــيـــا : جيد جدا .

س : لنقل : إنها هبة من الذاكرة (5) أم ربات الفن وكل ما ينبغي الاحتفاظ به في ذاكرتنا ، مما قد رأيناه أو سمعناه أو تصورناه، يأتي إلى هذا الشمع الذي نفترض وجوده فيتقبله بما فيه من الإحساسات والتصورات ليحفر عليه ببروز كعلامات ننقشها عليه ، وما ينطبع فيه يكون لنا عنه ذاكرة وعلم طالما ظلت صورته موجودة وما ينمحي ولم ينجح في الانطباع ننساه ولا نعرفه على الإطلاق .

س : فلنفرض أن رجلا له معرفة بالوصف السابق وأنه ينظر إلي شيء حاضر امامه ولا يسمعه ، ألا يمكن لهذا الشخص أن يقع في حكم خاطئ ؟

ثـــيـــا : وكيف ؟ .

س : أي أن يوجد بين ما يعرف : تارة مع ما يعرف ، وتارة أخرى مع ما لا يعرف ، إذ يوجد فروض أخطأناها حين حسبناها مستحيلة في مناقشاتنا السابقة .

ثـــيـــا : وماذا أقول عنها الآن ؟

س : هاك ما ينبغي أن يقال في هذا الموضوع . أن نميز أولا بين الحالات الآتية : يستحيل الخلط بين موضوعين معروفين ومتذكرين غير مصحوبين بإحساس حاضر . ويستحيل الخلط – أيضا – بين موضوع معروف وموضوع غير معروف وغير متذكر . ويستحيل الخلط بين موضوعين أحدهما لا نعرفه على الإطلاق والآخر نعرفه . ١٩٢

كذلك – أيضا – يستحيل أن نخلط بين موضوعين ، لدينا إحساس مباشر عنهما ، كما يستحيل أن نخلط بين موضوع محسوس وموضوع غير

(5) Mnémosyné, la mère des muses.

محسوس ، فهذه - أيضا - حال من المستحيل تحققها أكثر من الحالات السابقة .

كذلك مستحيل أن نخلط بين موضوعين نعرفهما وفي الوقت نفسه نتذكرهما ونحس بهما ، ومستحيل أن نخلط بين موضوعين نعرفهما ولدينا عنهما إحساس مباشر ويقيني كما يستحيل أن نخلط بين موضوعين لا نعرفهما على الإطلاق ، ولا نحس بهما إحساسًا مباشرًا ويستحيل أن نخلط بين ما لا نعرفه ولا نحس به إحساسا مباشرا ، مع ما لا نعرفه أو نحس به إحساسًا مباشرًا . فهاك كل الحالات التي يكون من المستحيل علينا أن نحكم بخطئها وتبقى الحالات التالية التي اذا حدثت يحدث الحكم الخاطىء .

ثيا : أي حالات بالضبط ؟ حتى أفهم على الأقل ، إذ إني الآن لا أستطيع أن أتتبع .

س : يمكن أن يحدث الخلط بين موضوعات أخرى تعرفها وموضوعات أخرى لا تعرفها - أيضا - وتحس بها أو موضوعات أخرى لا تعرفها ولكنك تحس بها أو تخلط بين موضوعات تعرفها وتحس بها على السواء .

ثيا : إن هذا يتجاوز قدرتي على الفهم أكثر مما سبق .

س : دعني أكرر عليك الشرح بالطريقة الآتية : إنني أعرف من ثيودورس وأتذكر من هو ، كذلك لدي عن ثياتيتوس معرفة مماثلة ألا يصح أحيانا أن أراهما ، وأحيانا أخرى لا أراهما ، وأحيانا ألمسهما أو أدركهما بإحساس آخر وأحيانا لا يكون لدي عنهما أي إحساس ومع ذلك لا يقل ما لدي عنكما من تذكر أو علم ؟

ثيا : بالتأكيد .

س : هذه إذن النقطة الأولى التي ينبغي أن تفهم من الشرح الذي أود تقديمه : إذ يمكن ألا يوجد إحساس مباشر عن الأشياء التي نعرفها ، كما يمكن أن يكون - أيضًا - هذا الإحساس موجودا .

ثـــيـــا : انك على حق .

س : ألا يمكن – أيضا – للأشياء التي لا نعرفها على الإطلاق أن يحدث أحيانا ألا يوجد إحساس مباشرًا وأحيانا أخرى يوجد هذا الإحساس .

ثيا : هذا ممكن – أيضا .

س : لتنظر ، إذن ، كيف يمكن أن تتابعني بطريقة أسهل . ان كان سقراط يعرف ثيودورس وثياتيتوس لكنه لا ينفعل بأي إحساس مباشر عنهما لا عن الواحد ولا عن الآخر ، فهل لا يستطيع أن يحكم في ذهنه حكما بأن ثيودوروس هو ثياتيتوس أفهمت شيئا من حديثي أم لا ؟ ١٩٣

ثـــيـــا : نعم عرفت الحقيقة .

س : إذن ، فهذا المثل هو أول الحالات التي ميزتها في البداية .

ثـــيـــا : هذا صحيح.

س : وهناك الحالة الثانية ، إنني أعرف أحدكما ولكني لا أعرف الثاني أبدا، ولا يحضرني إحساس عن الواحد ولا عن الآخر فسوف يترتب على ذلك أني لا أخلط أبدا بين ما هو معروف لي مع ما ليس معروفًا على الإطلاق .

ثـــيـــا : هذا صحيح .

س : المثال الثالث : إن لم يكن لدى عن الواحد ولا عن الآخر أية معرفة ولا يحضرني عنهما أي إحساس . فلن أخلط على الإطلاق بين ما لا أعرف مع أي واحد آخر ممن لا أعرف .

لتتصور مرة أخرى الحالات السابقة في مجموعها وهي التي لن يحدث فيها حكم خاطئ عنك أنت وثيودورس أي سواء كنت أعرفكما أو كنت أجهلكما أو كنت أعرف الواحد ولا أعرف الآخر أبدا ، والحال كذلك إذ إني طبقت الإحساسات على الاستدلال نفسه فهل تستطيع المتابعة ؟

إني أستطيع .

س : يبقى ، إذن ، إمكانية الحكم الخاطئ في الحالات الآتية : ان كنت أعرف من أنت ومن ثيودورس ولي في هذا الشمع المشهور علامتان مرقومتان

عنكما ، أنتما الاثنان كخاتمين في طبقة الشمع وعندما أبصركما من بعيد بطريقة غير متميزة فاني أجتهد بأن أضيف الإحساس البصري الذي يحدث لي عن كل منكما إلى العلامة الخاصة بكل منكما وأن أطابق بين هذا الإحساس والأثر الخاص به حتى يتم التحقق ولكن يحدث أن أفشل في هذه المطابقة مثل من يحتذون الحذاء بالعكس ، فأقلب وضع الأشياء وأضيف الإحساس البصري الذي هو عندي إلى العلامة الخاصة بالآخر أو يحدث بعض الخلط على نحو ما يحدث في المرايا ، إذ تنعكس صورة ما هو على اليمين إلى اليسار فينتهي بي هذا الخطأ [٦] . إذ يحدث عندئذ أن يؤخذ شيء بدلا من الآخر فنحكم خطأ .

ثـيـا : إن هذا محتمل ، يا سقراط ، وإنك لتصف على نحو رائع الخلط الذي يقع في الحكم.

س : وحالة أخرى هي التي نكون عارفين الواحد والآخر ، ولكن يكون لدينا بالإضافة إلى هذه المعرفة إحساس مباشر عن أحدهما وليس لدينا مثله بالنسبة للآخر فمعرفتي عن الواحد لا تطابق هذا الإحساس، وهى حالة عرضتها سابقا ولكنك لم تفهمها .

ثـيـا : كلا ،حقا .

س : وهاك خلاصة قولى : إذا كنت تعرف أحدا من الناس وتحس به إحساسا مباشرا وكانت المعرفة به مطابقة لهذا الإحساس فلن يحدث أن تخلط بين هذا الشخص وأي شخص آخر تعرفه ولديك عنه إحساس مباشر طالما كانت معرفتك به مطابقة للإحساس المباشر به، ألم يكن الأمر كذلك ؟

ثـيـا : أجل .

س : وتبقى الحالة التي كانت موضع بحثي والتي يقع فيها الحكم الخاطئ وذلك بالطريقة الآتية : أن تعرف الواحد والآخر وترى الواحد والآخر – ١٩٤ أيضا – أو تحس بهما بأي إحساس آخر ، ولكن لا تنطبق الإحساسات

(٦) انظر شرح هذه الظاهرة فى محاورة تيمايوس ٤٦.

الخاصة بكل منهما . فتكون مثل رام بالقوس يصوب في اتجاه مخالف فيخطئ الهدف ولا يصيبه وهذا هو الخطأ .

ثـــيــــا : هذا صحيح .

س : يحدث الخطأ عندما يوجد إحساس يطابق إحدى العلامتين وتبقى العلامة الأخرى خالية ، فيأتي العقل ليملأ العلامة الخالية بالإحساس الحاضر الذي لا يطابقها ، والخلاصة – أنه إذا كان فيما نقوله الآن شيء من الصحة فإنه يكون من المستحيل أن يقع الحكم الخاطئ فيما لانعرف ولا ندرك إدراكا حسيا على الإطلاق ، لكن فى مجال الموضوعات التي نعرفها ونحس بها تحدث وتدور الأحكام لتكون تارة صادقة وتارة خاطئة ، فإن انطبقت الانطباعات الحسية تماما على العلامة المناسبة لها تكن صادقة أما إذا انحرفت فأخطأت العلامة الخاصة بها كانت خاطئة.

ثـــيــــا : حقا هذا تفسير بديع ، يا سقراط ، أليس كذلك ؟

س :لتسمع البقية حتى تعجب أكثر من ذلك ، إذ إن الحكم الصادق رائع أما الحكم الخاطئ فهو كريه.

ثـــيــــا : وكيف ننكر هذا ؟

س : هاك هو ما يؤكدونه عن مصدر حدوث الواحد أو الآخر ، يكون الشمع في بعض النفوس عميقا وغزيرا وأملسا ومخمرا ومخلوطا على النحو الصحيح فما ينطبع فيه بواسطة الإحساس ينتشر على صفحات النفس، كما يقول هوميروس عندما يؤكد مشابهة النفس بالشمع وعندئذ تحدث الآثار الواضحة التي تتغلغل إلى أعماق كافية لتظل باقية فترة طويلة. والذين يكون لهم الشمع على هذا النحو يتعلمون بسهولة ويحفظون بدقة وهم لا يخلطون الإحساسات والآثار ولا يكونون إلا أحكاما صحيحة . ولأن هذه الآثار واضحة ومثبتة على النحو الصحيح وموزعة على مسافات كافية فيما بينها فيمكنهم أن يقرنوها بسرعة مع الانطباعات

المطابقة لها ، فتكتسب اسم الموجودات ، وأمثال هؤلاء الناس يطلق عليهم اسم الحكماء .ألا يبدو لك هذا صحيحا ؟.

ثـــيـــا : صحيح جدا .

س : لكن عندما يكون للإنسان قلب غليظ على حد قول الشاعر الحكيم أو من لهم قلوب غلف قوامها شمع عكر أو شديد الليونة أو شديد الجفاف . وذوو القلب اللين سريعو التعلم سريعو النسيان وذوو القلب الجاف يكونون على العكس من ذلك ، أما من لهم قلب كثيف وصلد كالحجر الممزوج بالتراب والصدأ فلا تتميز فيه الآثار ولا تكون واضحة في القلوب الجافة اذ تفتقد العمق ولا تتضح كذلك الآثار في القلوب اللينة حين تختلط ببعضها وتظل تتكدس بعضها فوق البعض الآخر بسبب صغر المكان ، ١٩٥ لأن هذه النفس تكون صغيرة للغاية ويزداد غموض هذه الذكريات عما كانت عليه في الحالات السابقة ، فهؤلاء الرجال الذين يكونون معرضين للحكم الخاطئ ، ولأنهم بطيئون ويخلطون الآثار المتذكرة بما يرونه أو يسمعونه أو يتصورونه فإنهم يبصرون الأشياء معكوسة ويسمعونها معكوسة ويتصورونها معكوسة في أغلب الأوقات . ولذلك يقال عن هؤلاء الناس : إن أفكارهم عن الموجودات خاطئة وأنهم جهلة.

ثـــيـــا : ما أصدق كلامك يا سقراط .

س : أتؤكد أن الأحكام الخاطئة توجد فينا ؟

ثـــيـــا : بكل تأكيد .

س : والصادقة ، أيضا ؟ .

ثـــيـــا : نعم والصادقة .

س : أتؤكد إذن على وجه اليقين ومن الآن أنه قد ثبت تماما فيما بيننا وجود هذين النوعين من الأحكام .

ثـــيـــا : ذلك مؤكد تماما .

س : حقا ، يا ثياتيتوس، إنه أمر مريع وكريه أن يصير الإنسان ثرثارا وهو في سن النضوج .

ثـــيـــا : ولم – إذن – تقول ذلك ؟

س : إن عدم فهمي وثرثرتي يؤلماني ، وإلا فبما تصف رجلا ينشد الأدلة في كل الاتجاهات لثقل عقله الذي لا يتقبل دليلا وعندما يأخذ في الالتزام بالأدلة لا يعرف كيف يتخلص منها ؟

ثـــيـــا : ولكن لما تتألم أنت من ذاتك ؟

س : ليس بي «عناء» فقط، بل إني أخشى – أيضا – أن اضطر إلى الإجابة : إذا ما سئلت : أي سقراط ، لقد وجدت الحكم الخاطئ ، وأنه لا يكون في الإحساسات وعلاقتها المتبادلة ببعضها ولا في الأفكار ، بل في مطابقة الإحساس بالفكر ، أليس كذلك ؟ ولسوف أجيب بنعم على ما يبدو لي ، وأنا أتباهى أني قد وصلت معك إلى اكتشاف رائع .

ثـــيـــا : في رأيى على الأقل يا سقراط أن الدليل الذي انتهينا إليه ليس نتيجة سيئة .

س : وقد يواصل السائل سؤاله بقوله : ففي رأيك ، إذن ، أن الإنسان لن يخلط بينه أبدا وبين الحصان الذي لا يراه ولا يلمسه، وإنما يتصوره بغير أن يكون لديه عنه أيى إحساس ، وسوف أجيب فيما يبدو لي أنه كذلك .

ثـــيـــا : معك حق .

س : ولسوف يقول : وعلى ذلك فإن الإحدى عشرة التي ليست شيئا سوى موضوع في الفكر لن يمكن وفقا لهذا البرهان أن تختلط بالاثنتي عشرة التي لا يمكن أن نتصورها ؟ هيا عليك أنت الآن أن تجيب .

ثـــيـــا : سوف أجيب عليه بقولي إذا كانت الإحدى عشرة أو الاثنتا عشرة موضوعا للبصر أو اللمس فيمكن أن نخلط بينهما ، ولكن إن لم تكن موجودة إلا في الفكر فلن يحدث على الإطلاق هذا الخلط بشأنها .

س : لنتصور الآن شخصا ما يمكنه أن يتخذ الخمسة والسبعة موضوعا لبحثه– ولست أعني خمسة رجال ولا سبعة رجال أو أي شيء مماثل ، بل الخمسة ذاتها والسبعة ذاتها المماثلتين بوصفهما ذكرى مطبوعة في ١٩٦ كتلة الشمع الموجودة في نفوسنا واللتين يستبعد أن يقع الحكم الخاطئ فيهما إذا وجد من يبحثهما في ذاتهما ويوجه لنفسه تفسيرات وأسئلة حول الكمية التي يكونانها ألا ينتهي هذا الشخص إلى أن يقول ويعتقد أنهما يكونان أحدى عشرة في حين يقول شخص آخر إنهما يكونان اثنى عشرة ، أم أن كل الناس تقول وتعتقد أنهما يكونان اثني عشرة ؟

ثـــيـــا : كلا ، والله ، فهناك كثيرون يقولون بالأحدى عشرة وإذا تضاعف العدد المطلوب تضخم الخطأ ، إذ أتصورك تبتغي الحديث عموما عن كل أنواع العدد.

س : وإنك لعلى حق في افتراض ذلك ، ولنفكر الآن إذا كان ما نفعل الآن ليس إلا أننا نأخذ الاثنى عشرة أليست الاثنا عشرة مرقومة في الشمع على أنها إحدى عشرة ؟

ثـــيـــا : يبدو هذا .

س : ألا يعني هذا أننا نرجع مرة أخرى إلى أدلتنا الأولى ؟ فمن يرتكب هذا الخطأ يخلط بين شيء يعرفه وشيء آخر يعرفه أيضا ، وقد انتهينا إلى القول بأن هذا مستحيل ، وكان هذا هو السبب الذي اضطرنا إلى استبعاد وجود الحكم الخاطئ حتى لا نضطر إلى القول بأن إنسانا واحدا لابد أن يعرف الشيء نفسه .

ثـــيـــا : هذا حق .

س : فإذا كان الأمر كذلك فينبغي علينا أن نفسر الحكم الخاطيء بطريقة أخرى غير انحراف الفكر مع الإحساس ، إذ لو كان الأمر يقتصر على هذا فسوف يستحيل علينا أن نخطئ في الأفكار الخالصة . والخلاصة أن علينا نختار بين الفرضين ، إما أنه لا يوجد حكم خاطئ على الإطلاق أو أنه يمكن ألا نعرف ما نعرفه فأي الرأيين تختار ؟

ثـــيـــا : وإنه اختيار صعب ذلك الذي تقترحه علينا هنا ، يا سقراط .

س : لكن المنطق لا يسمح بأن نحتفظ بالرأيين معا ، لكن ينبغي أن نحاول كل شيء إذا حاولنا تجنب الخجل .

ثـــيـــا : وماذا نفعل ؟

س : أن نوافق على أن نذكر ما هو العلم ؟

ثـــيـــا : وكيف يكون ذلك بلا خجل ؟

س : يبدو عليك أنك لم تكن على وعي بأن نقاشنا من أوله إلى آخره لم يكن بحثا في العلم من قبل أشخاص لا يعرفون ما هو العلم ؟

ثـــيـــا : على العكس إني على وعى كامل بذلك .

س : ألا يبدو لك شيئا غريبا ، ألا نكون عارفين ثم نأخذ في تفسير ما هي المعرفة ؟ والحق ، يا ثياتيتوس ، أننا قد أفضنا كثيرا وبطريقة سخيفة في النقاش ، فقد قلنا آلاف المرات «اننا نعرف» واننا لا نعرف ، واننا نعلم واننا لا نعلم كما لو كان بعضنا يفهم الآخر في الوقت الذي نجهل فيه ما هو العلم . لكن حتى هذه اللحظة ، ترانا نستعمل لفظى «نجهل» و «نفهم» كما لو كان من حقنا نحن الذين ينقصهم العلم أن نستخدم هذه الكلمات.

ثـــيـــا : لكن بأية طريقة تناقش ، يا سقراط ، اذا كنت تريد استبعاد استعمال الكلمات من مناقشتك ؟

س : لا أستطيع بأية طريقة ما دمت الشخص نفسه الذي أكونه . أما إذا كنت ١٩٧ مجادلا فبأكثر من طريقة ، فإذا وجدت إنسانا من هذا النوع الآن فسوف يؤكد استغناءه عن هذه الكلمات ولسوف يهدم بشدة كل تفسيرات تقع تحت بصرنا . وما دمنا ، في الواقع ، لسنا سوى سوقة، ألا تود أن أجرؤ على تفسير أي نوع من الأشياء تكونه المعرفة ؟ ففى ظنى ورأيي أننا سوف نستفيد من ذلك .

ثـــيـــا : لتجرؤ . بكل تأكيد ، وإذا لم تنجح في الاستغناء عن هذه الألفاظ فسوف لا نلومك .

الاقتناء والامتلاك - مثال برج الحمام :

س : هل سمعت كيف يمكن تعريف المعرفة؟

ثـــيـــا : ربما ، غير أني لا أتذكر تماما الآن .

س : إنها كما يقولون اقتناء العلم .

ثـــيـــا : صحيح .

س : وسوف نقوم بتغيير طفيف ونقول : إنها ظاهرة امتلاك العلم .

ثـــيـــا : وما الفرق بين الواحد والآخر ؟

س : ربما لا يكون هناك فرق ، ولكن لتفهم فكرتي قبل أن توجه لي النقد .

ثـــيـــا : سوف أفهم إن كان ذلك في استطاعتي .

س : يبدو لي ، في الواقع ، أن الاقتناء(٧) مختلف عن الامتلاك ، فمثلا إذا اشترينا رداء واحتفظنا به من غير أن نرتديه فلا نقول لمن حولنا إننا كنا نرتدي رداء نمتلكه ، بل نقتنيه .

ثـــيـــا : هذا صحيح .

س : لنرى ، إذن ، إذا أمكننا أن نقتني العلم بغير أن نملكه(٨) وسيكون الحال هنا أشبه بمن يصطاد بعض الطيور البرية ثم يبني لها قفصا يربيها فيه، فبمعنى ما أتصور أننا يمكن أن نؤكد أنه لدينا ما دمنا نقتنيه أليس هذا صحيحا ؟

ثـــيـــا : بلى .

س : لكن ، بمعنى آخر ، لن يكون لدينا على الإطلاق على رغم أنه يمكن السيطرة عليها بمعنى ما ، ما دمنا قد حبسناها في قفص ملكنا وتصبح الطيور رهن أيدينا فنأخذها متى شئنا ونمسك بالواحدة تلو الأخرى كلما بدا لنا ثم نطلقها ونكرر هذا بقدر ما يعجبنا .

ثـــيـــا : هذا صحيح .

---

(٧) الامتلاك échein, avoir أما الاقتناء Kektesthai posséder

(٨) نمتلكه تملكا كما لو تملكنا الرداء فلبسناه. (أى ملك يدنا).

س : فلنتخيل من جديد شيئا مثل قفص الحمام ونضعه في هذا الشمع الذي شكلناه في النفوس بشكل معين ولنجمع في هذا القفص كل أنواع الطيور البعض في مجموعات منفصلة والبعض الآخر في مجاميع صغيرة والباقي أفرادا تروح وتجيء وسط الأخريات بحسب ما تهوى في الطيران.

ثـــيـــا : فلنفترض أننا فعلنا هذا فما الذي يحدث ؟

س : لنؤكد أن هذا القفص إنما يكون خاليا عند الأطفال ولنتصور أن الطيور ١٩٨ فيه ترمز للعلوم ، وأن كل ما نكتسبه من علوم نضعه في هذا القفص ونقول إننا تعلمنا أو إننا اكتشفنا موضوعات العلم في ذواتنا، وهذا هو معنى المعرفة.

ثـــيـــا : ليكن هذا .

س : والآن بالنسبة لمن يهوى صيد أي علم من هذه العلوم أو اقتنائها أو تركها لتنظر بأية كلمة ينبغي أن تسمى . أبا لأسماء نفسها مثل أول مرة لاكتسابها أم بأسماء أخرى مختلفة وهاك ما سوف يجعلك تفهم بطريقة أوضح مما أقول . هل تقول إن الحساب فن ؟

ثـــيـــا : أجل .

س : لتعتبره صيدا للعلوم في مجال الزوجي والفردي .

ثـــيـــا : سوف أعتبره كذلك .

س : فإلى هذا الفن ندين بمعرفة علوم متعددة وقدرة نقلها إلى الغير عندما نقوم بنقلها .

ثـــيـــا : أجل.

س : ففي تسمياتنا يكون النقل هو التعليم ، أما التلقي فهو التعلم والامتلاك بواسطة الاقتناء في هذا القفص هو العلم؟

ثـــيـــا : تماما .

س : لتوجه انتباهك الآن إلى ما يلى : هل يجوز للرياضي الماهر ألا يعرف الأرقام ؟ ألا توجد كل الأرقام في نفسه ؟

ثـــيــــــا : أجل طبعا .

س : ألا يستطيع مثل هذا الشخص أن يعد في باطنه هذه الأعداد أو يعد بعض الأشياء الخارجية التي لها أعداد ؟

ثـــيــــــا : طبعا كيف لا يستطيع ؟

س : لكن العد يعرف عندنا بأنه البحث عن العدد المطابق .

ثـــيــــــا : هذا مؤكد .

س : يبدو إذن أن الشخص الذي يعرف جميع الأعداد كما قلنا يأخذ في البحث عما يعرفه كما لو لم يكن يعرف على الإطلاق . ألم يحدث لك أن سمعت مثل هذه الاعتراضات ؟

ثـــيــــــا : نعم قد يحدث هذا .

س : ولنرجع إلى صيد الحمام واقتنائه ونقول : إنه كان هنا نوعان من الصيد، أحدهما يسبق الاكتساب وينشد الاقتناء . والثاني يحدث عندما يتم اقتناء الحمام ثم يبغي الإنسان أن يمتلك ويمسك بيده ما قد اقتناه قبل ذلك وبالمثل فإن العلوم التي اقتنيناها من زمان طويل وكنا قد تعلمناها يمكن أن نعود إلى معرفتها من جديد بأن نتناول علما من العلوم وأن نمتلك هذا العلم الذي كنا نقتنيه منذ زمن طويل بغير أن يكون حاضرا في فكرنا .

ثـــيــــــا : هذا حق .

س : لقد كان هنا معنى سؤالي : فبأي الأسماء نسمي عالم الحساب الذي يأخذ في العد أو اللغوي الذي ينخرط في القراءة ؟. أيكون كل منهما فى مثل هذه الحالات قد شرع يتعلم من جديد ما فى نفسه من أشياء قد سبق أن عرفها. ؟

ثـــيــــــا : سيكون هذا أمرا عجيبا ، يا سقراط.

س : أم أتؤكد أنه لا يعلم على الإطلاق تلك الأشياء التى قد شرع فى قراءتها أو عدها بعد أن نسبنا إليه أنه يعرف كل الحروف وكل الأعداد. ١٩٩

ثـــيـــا : لكن هذا – أيضا – سوف يكون غير معقول.

س : أتوافقنى على أنه سوف لا يعنينا من يأخذ فى اللهو بتقليب عبارات مثل «أن نعرف»، أو أن «نتعلم» طالما كنا لا نعنى بالألفاظ؟ وقد تم لنا تعريف أن اقتناء العلم يختلف عن امتلاكه وقد أكدنا أنه من المستحيل عدم اقتناء ما هو مقتنى ويمكن كذلك بالنسبة للذى يعرف أن يقع فى الحكم الخاطئ لأنه قد يحدث له ألا يتناول علما صحيحا بل علمًا بشئ آخر بدلا منه، عندما يكون بصدد صيد علم معين فيخطئ الهدف ويمسك بمعرفة بدلا من الأخرى ، ففى هذه الحالة، يمكن أن يأخذ الأحد عشرة بدلا من الاثنى عشرة لأنه قد يصطاد من باطنه معرفة الأحد عشرة بدلا من معرفة الاثنتى عشرة كما لو قبض على حمامة برية، فى حين كان يريد الإمساك بحمامة داجنة.

ثـــيـــا : هذا هو التفسير الصحيح.

س : وإذا حدث العكس فقبضنا على ما كنا نريد الإمساك به ألا نكون سالمين من الخطأ، وأن ما نذكره فى حكمنا هو أشياء موجودة فعلا، فبهذه الطريقة توجد الأحكام : وما كانت لتثقل كاهلنا، ألا توافقنى على ذلك؟ أم ماذا سوف نفعل؟

ثـــيـــا : إني أوافقك .

س : فها نحن ، الآن ، قد تخلصنا من متناقضات مثل : لا يمكن معرفة ما هو معروف ولا نعود إلى القول بعدم اقتناء ما نقتنى ، على أى حال ، سواء كنا على خطأ أو لا ، ولكن هناك نتيجة أخرى يبدولي أنها أخطر بكثير.

ثـــيـــا : وما النتيجة ؟

س : إنه فى حالة اختلاط العلوم ينشأ الحكم الخاطئ .

ثـــيـــا : وكيف هذا

س : أولا حين نجهل أننا نعلم موضوعا معينا لا بصفة الجهل بل بنوع من المعرفة الخاصة ثم نحكم على هذا الموضوع وبالعكس ، ألا يكون هذا

اختلالا في العقل [9] ؟ فالنفس في هذه الحالة يوجد بها العلم ولكنها تفشل في التعرف على أي شيء منه بل تجهل كل شيء فبموجب هذا التفكير يمكن للجهل أن ينتج لنا معرفة وللعمى أن ينتج لنا إبصارا ما دامت المعرفة تنتج جهلا .

ثــيـــا : ربما نكون قد أخطأنا ، يا سقراط، عندما شبهنا العلوم بالطيور وقد كان الأجدر أن نضع مجهولات لا علوما تتعارض مع العلوم في داخل النفس وعلى ذلك فإن الصياد يأخذ العلم تارة والجهل تارة أخرى ويحكم خطأ عن جهل ويحكم بصدق عن العلم.

س : سوف يكون من العسير ، يا ثياتيتوس، أن نرفض ما تقول ولكن لنبحث مرة أخرى في التفسير الذي نقترحه ،َ فعلى حد قولك إن من يأخذه اللا علم – الجهل فهو ذلك الذى يحكم خطأ أليس كذلك ؟ ٢٠٠

ثــيـــا : أجل .

س : ولكنه لا يظن أنه يحكم خطأ على الإطلاق .

ثــيـــا : طبعا لا

س : بالعكس سوف يظن أنه يحكم بصدق وبوصفه رجلا يعلم سوف يتناول الأشياء التي يخطئ هو فيها .

ثــيـــا : وكيف ذلك ؟

س : ولسوف يعتقد أن غنيمة صيده إنما نشأت عن العلم لا عن اللا علم .

ثــيـــا : كلام واضح .

س : ها نحن الآن بعد طواف طويل قد وقعنا في الحيرة نفسها التي كنا عليها في البداية ولسوف يسخر ناقدنا بقوله : أمن الممكن، أيها القوم الممتازون، أن يعرف الإنسان علما وجهالة معا، وأن يظن الواحد منهما الآخر ؟ أم أنه لا يعرف الواحد ولا الآخر ولا العلم ولا اللا علم ويأخذ ما لا يعلم محل شيء آخر مما لا يعلم ؟ أم أن يعرف الواحدة ولا يعرف

(9) Déraison.

الأخرى وأن يأخذ ما يعرف محل ما لا يعرف ؟ أم أن يظن ما لا يعرف أنه ما يعرف؟ أم تقولون لي إن العلوم واللا علوم هي موضوعات لعلوم جديدة يحفظها مقتنيها في قفص معين غريب الشكل أم في ما لا أعرف من كتل شمع وأنه طالما اقتناها فهو يعرفها في اللحظة نفسها التي لا تكون ملموسة في نفسه مباشرة ؟

وإنكم لتتركون أنفسكم عرضة للرجوع إلى النقطة نفسها بواسطة آلاف الدورات بغير أن تتقدموا خطوة ؟ فبم تجيب عن هذا ، يا ثياتيتوس ؟

ثـــيــــا : لكن ، يا سقراط، لا أجد ما أجيب به عن ذلك .

س : أليس الحوار ، يا بني، هو الذي يجعلنا شرهين بحق وهو الذي بين أننا أخطانا عندما بحثنا في الحكم الخاطئ قبل أن نعرف ما هو العلم ؟ فمن المستحيل أن نعرف الأول قبل أن نكون تصورا مناسبا لما يمكن أن يكون العلم عليه .

ثـــيــــا : من الضروري ، يا سقراط، أن نفكر على نحو ما نقول بعد النقطة التي وصلنا إليها .

الواقع المؤكد : البرهان القضائي

س : فإذا أخذنا المسألة من مبدئها فعلى أي نحو نعرف العلم ؟ أليس من المؤكد أننا لم نكف بعد عن البحث ؟

ثـــيــــا : كلا ما دمت أنت لم تكف بعد عن هذا .

س : لتذكر بأية طريقة يمكننا تعريف العلم على أحسن وجه وبغير أن نقع في التناقض مع أنفسنا ؟

ثـــيــــا : بالطريقة التي سرنا عليها ، فيما سبق، يا سقراط ، إذ لا أجد أنا أية إضافة أخرى على هذا .

س : وكيف كان ذلك ؟

ثـــيــــا : إن الظن الصادق [10] هو العلم . فنحن لا نخطئ عندما نعتقد فيما هو الحق وأن النتائج التي تترتب على ذلك القول كلها مرضية .

(10) True belief.

س : ان المرشد الذي كان يقود ثياتيتوس من الأعماق إلى الشاطئ كان يقول له: سوف نرى جيدا عندما نصل «فإذا فعلنا بالمثل فتابعنا بحثنا بالسير قدما فربما يتصادف أن ما نبحث عنه يأتي ليقع تحت أقدامنا ، غير أن الوقوف في المكان نفسه لن يوضح لنا شيئا ».

ثـــيـــا : معك حق ، فلنتقدم ونواصل البحث .

٢٠١

س : لن يكون هناك إلا بحث قصير إذ يوجد فن يبين لك أن العلم ليس هو ذلك على الإطلاق .

ثـــيـــا : فبأي دليل ، إذن، تعرفه وأي فن يكون هذا ؟

س : فن أكبر أساتذة الحكمة هؤلاء الذين يسمون بالخطباء والبلغاء في الدفاع ونوع الإقناع الذي ينتجه فنهم لا يحدثونه أبدا بالتعليم ، بل بأن يولدوا الآراء التي تعجبهم . أتظن أن هناك أساتذة لديهم مهارة تمكنهم من أن يعلموا حقيقة الواقع عن حادث سرقة أو عنف لمن لم يشهد شيئا في أقل قدر من الزمان .

ثـــيـــا : أظن أن هذا لا يتم بالتعليم أبدا بل بالإقناع .

س : ألا تظن أن الإقناع هو الذي يجعلهم يعتقدون في شيء ما ؟

ثـــيـــا : هو ذلك طبعا .

س : عندما يقتنع القضاة العادلون بوقائع يقدمها شاهد عيان ثم يحكمون بناء على الرواية التى يسمعونها ويعتقدون بصحتها ، فإنهم لا يحكمون عن علم ، بل عن سماع، وعن ظن صادق قدم لهم وإن كان اقتناعهم راسخا وحكمهم صحيحا .

ثـــيـــا : هذا صحيح تماما .

س : لكن حتى لو اتفق الظن الصادق والعلم في المحكمة فإن القاضي الحصيف لن يحكم بناء على ظن صادق وبدون العلم . ولذا يبدو الآن أن الظن الصادق والعلم مختلفان .

التعريف الثالث

العلم هو الظن الصادق المصحوب بالبرهان

التعريف الثالث : العلم هو الظن الصادق [١] المصحوب بالبرهان [٢]:

ثـيـا : أجل ، يا سقراط، فقد سمعت من شخص ما هذه التفرقة بين العلم والظن الصادق، وكنت قد نسيتها ولكن ها هى الآن تظهر لى، كان هذا الشخص يقول: إن الظن الصادق المصحوب بالبرهان هو العلم، أما ما يخلو من البرهان فليس بعلم. وبناء على ذلك فإن ما لا يقبل برهانا لا يكون موضوعا للعلم فى حين يكون ما يقبله علما. هذا هو قوله.

س : ما أحسن هذا الكلام، لكن لتخبرنى كيف كان يفرق بين تلك الموضوعات القابلة للعلم والموضوعات غير الصالحة للعلم حتى نرى إذا كان ما قد سمعته يتفق مع ما سمعته أنت.

ثـيـا : لست واثقا من قدرتى على تذكرها، لكنى إذا ما سمعت أحدا يعرضها فأظن أنى أستطيع أن أتعرف عليها.

س : لتسمع حلما خطر لى فى مقابل حلمك، فقد اعتقدت أنى سمعت قولا يتلخص فى أن ما يسمى بالعناصر الأولية التى نتكون منها نحن وكل الأشياء الأخرى لا تقبل التفسير العقلى – البرهان –، ويمكن لكل واحد منها أن يكون له بذاته ٢٠٢ وفى ذاته اسم ومن المستحيل أن نضيف له شيئا آخر فنقول : إنه موجودأو إنه ليس موجودا، إذ سيكون معنى هذا الكلام أننا نضيف له الوجود أو اللاوجود، فى حين أنه لا ينبغى أن نصفه بشىء، فلا نقول هو ذاته même إن كان الذى نود الحديث عنه موجودا على حدة. ولا ذلك – `cela ولا كل واحد chacun ولا بمفرده ولا هذا – إذ لا ينبغى أن تضاف إليه هذه الصفات ولا أى وصف آخر

---

(١) Alêthê Doxa: true belief -Opinion vraie الظن الصادق وكلمة Doxa هنا تعنى الفكرة الصحيحة أكثر مما تعنى الحكم الصادق وهذا المعنى وارد فى الترجمة الفرنسية والإنجليزية لدييز وكورنفورد "opinion" وليس jugement

(٢) Metà logon : account, raison اللوغوس فى الأصل الكلمة والمنطق والعقل – والمعنى هنا البرهان أو التفسير العقلى أو الدليل المنطقى ويقال–أيضا–فى ترجمتها «الحق». والعلم Epistémé

مشابه، فهذه الألفاظ تستخدم فى كل مكان وتنسب لكل شيء ولذلك فإنها تظل مختلفة عما تنسب إليه بشكل واضح. وإذا افترضنا أنه يمكن التعبير عن أى عنصر من العناصر بصيغة خاصة به فلا ينبغى أن نلحق به أيه صفة أخرى، ولذلك يستحيل التبرير عن أى عنصر من العناصر بأى برهان عقلى، بل بالاسم فقط لأن الاسم وحده هو كل ما يخصه، أما إذا تناولنا المركبات التى تتكون من هذه العناصر فإنما تتشابك أسماؤها على نحو ما تتركب هى، وتداخل الأسماء ينتج لنا البرهان Logos . إذ ليس البرهان سوى تركيب من الأسماء. فعلى هذا النحو تكون العناصر، لا معقولة ولا معروفة بل يمكن إدراكها بواسطة الحس، فى حين أن المركبات ذات المقاطع Syllables تصبح معروفة ويمكن تفسيرها، وهى موضوعات للظن الصادق. وعندما يكون الإنسان ظنا صادقا عن شيء ما بغير برهان فإن فكره يكون صادقا ولكنه لا يبلغ العلم به فمن لا يستطيع أن يقدم ولا أن يتقبل برهانا لموضوع ما فإنه لا يكون لديه علم بهذا الموضوع، لكن اذا أضيف هذا البرهان إلى ما عنده من تصور فقد استكمل إذن العلم التام، أليس هذا ما حلمت بأنك سمعته؟

ثـيـا : هو كذلك تمامًا .

س : هل يرضيك هذا الكلام؟ وهل تقول بعد ذلك إن الظن الصادق (٣) المصحوب بالبرهان هو العلم؟

ثـيـا : بكل تأكيد.

س : هل تم لنا الآن ، يا ثياتيتوس، أننا وضعنا أيدينا على ما قد أفنى فيه عديد من الحكماء أعمارهم بغير أن يستطيعوا أن يبلغوا ما يبحثون عنه؟

ثـيـا : يبدو لى ، يا سقراط، أن كلامنا الآن ينطوى على تعريف مقبول.

س : هذا ما يبدو فى الواقع، فماذا يمكن أن يكون العلم سوى أنه برهان وظن صادق؟ غير أن هناك شيئا ما كنا نتحدث عنه الآن لا يرضينى.

ثـيـا : وما هو ؟

---

(٣) ظن صادق. True belief : Opinion droite .

س : ما قد قيل وظهر من أن ألطف الأشياء أى العناصر لا تعرف وأن ما هو من قبيل المركبات - كالمقاطع - يمكن معرفته.

ثـيـا : أليس هذا صحيحا ؟

س : هذا ما ينبغى علينا أن نعرفه ، ويمكن أن نقول إن لدينا النماذج ذاتها التى استخدمت لصياغة هذه المبادىء كضمان للقضية.

ثـيـا : وأى نماذج.

س : تلك التى تقدمها لنا حروف الهجاء. ومبادىء الكتابة ومقاطع اللغة أو تعتقد أن هناك شيئا آخر كنا نفكر فيه ؟

ثـيـا : لا شىء آخر

هل يمكن للعناصر المجهولة أن تنشئ كلا معلوما؟

س : ينبغى أن نرجع إلى هذا المثال ونضعه موضع الاختبار أو نسأل أنفسنا ونرى ٢٠٣ إن كنا قد سرنا على هذه الطريقة عند تعلمنا للحروف الهجائية أم لا ؟ وأول سؤال يخطر بهذا الصدد : هل حقيقة أن المقاطع SYLLABES وحدها هى القابلة للتفسير العقلى فى حين أن الحروف ليست كذلك ؟

ثـيـا : ربما كان ذلك صحيحا.

س : ربما فى رأيى الخاص، افرض أنك سئلت عن المقطع الأول فى كلمة سقراط فقيل لك أى ثياتيتوس لتقل لنا ما هو سو SO فبم تجيب ؟

ثـيـا : انها س S و«واو» O.

س : وهل تجد فى هذا الكلام تفسيرا مقنعا للمقطع ؟

ثـيـا : أظن ذلك.

س : فلنر إذ تختبر بالطريقة نفسها معقولية ال س.

ثـيـا : وكيف نبحث عن عناصر الحرف الواحد؟ ذلك لأن ال «س» فى سقراط هو حرف جاف CONNSONNE فهى ضجة بسيطة شأن صفير اللسان، أما الباء فهى على العكس من ذلك ليس لها صوت ولا ضجة خاصة بها ، وهذا هو الحال فى معظم

الحروف[٤] لذلك فمن الصحيح أن نصفها بأنها لا تحتمل أى برهان عقلي ، ذلك لأن حتى أوضحها، وهى الحروف السبعة الصوتية لا تتضمن سوى الصوت ولا تحتمل أى تفسير عقلى.

س : هناك إذن ، يا صديقى، نقطة قد أحسنا وضعها فيما يتعلق بالعلم.

ثـيـا : هذا واضح.

س : والآن هل كنا على حق حين قلنا إن الحرف غير قابل للمعرفة فى حين أن المقطع يتقبلها ؟

ثـيـا : يبدو ذلك.

س : لنرى إذن، المقطع ، فى رأينا، حرفان أم هو مجموع الحروف إذا وجد أكثر من حرفين أم صورة معينة ناتجة عن تجمعها ؟

ثـيـا : إنها مجموع الحروف على ما أظن.

س : ألا يكون حرفا السين «س» والواو «و»، المقطع الأول من اسمى بحيث اذا ما عرف أحد ما المقطع الأول من اسمى عرف الحرفين.

ثـيـا : طبعا.

س : إنه يعرف إذن الـ س و الواو

ثـيـا : أجل.

س : لكن كيف ؟ كيف لا يعرف كل حرف على حدة فى حين أنه يعرف كليهما معا ؟

ثـيـا : سوف يكون ذلك غير معقول ، يا سقراط.

س : لكن إذا كان لابد من معرفة كل واحد على حدة لكى نعرف الاثنين معا فسوف ينبغى بالضرورة أن نعرف مقدما الحروف إذا أردنا معرفة المقطع وهذا هو السبب الذى يجعلنا فى مأزق.

ثـيـا : حقا بالضرورة.

س : ذلك لأننا لم نعرف كيف نلاحظ جيدا؟ فالذى كان يجب أن يحدث هو أن للمقطع صورة معينة متميزة ناتجة عن الحروف ولكنها مختلفة عنها.

---

(٤) أو العناصر الأولية للكلمات.

ثـيـا : صحيح تماما، إذ أن هذا الرأى أصح من الرأى الآخر.

س : هذا ما ينبغى علينا أن نفحصه، إذ لا ينبغى أبدا أن نهمل تفسيرا ممتازا بغير دفاع قوى.

ثـيـا : كلا طبعا.

س : والآن وقد تم لنا إثبات وجود صورة واحدة ناتجة عن تركيب العناصر، كما هو الحال بالنسبة للمقطع والحروف وكذلك الحال فى كل المركبات الأخرى. ٢٠٤

ثـيـا : بكل تأكيد.

س : فلا ينبغى أن يكون لها أجزاء.

ثـيـا : ولماذا؟

دليل جدلى :

س : لأن كل ما له أجزاء يتكون من مجموع الأجزاء، أو أنك تقصد أن للكل الناتج عن الأجزاء صورة أخرى مختلفة عن مجموع الأجزاء؟[٥].

ثـيـا : نعم هذا ما أقصده.

س : أتعتبر مجموع الأجزاء هو والكل شيئا واحدا أم شيئين مختلفين ؟

ثـيـا : لست متأكدا بهذا الصدد، ولكن تبعا للمبدأ الذى اتفقنا عليه من ضرورة تحملى للمخاطرة فإنى أقول إنهما مختلفان.

س : إن جرأتك فى محلها ، يا ثياتيتوس، لكن هل تظل الإجابة كذلك؟ إن هذا موضع نظر.

ثـيـا : ينبغى إذن أن ننظر.

س : فتبعا لرأيك الآن يوجد اختلاف بين الكل وبين المجموع.

ثـيـا : أجل .

س : حسن لكن أيمكن أن يختلف المجموع عن كل الأشياء التى يحتوى عليها فنقول مثلا : واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، أم اثنان فى ثلاثة، أو ثلاثة زائد

(٥) انظر تعريف الكل على أنه صورة واحدة متميزة فى محاورة بارمنيدس ١٥٧هـ - وأرسطو الميتافيزيقا ١٠١٦.أ.

اثنين زائد واحد، ففى كل هذه العبارات نعبر عن الشىء نفسه أم عن أشياء مختلفة ؟

ثــيــا : عن الشىء نفسه .

س : ليس شيئا آخر سوى الستة؟

ثــيــا : لا شىء آخر.

س : ألم نعبر عن الستة بكل هذه العبارات ؟

ثــيــا : أجل .

س : ألسنا نعنى شيئا حين نقول المجموع؟

ثــيــا : طبعا بالضرورة.

س : وهل المجموع شىء آخر غير الستة؟

ثــيــا : كلا.

س : ففى كل شىء مركب من عدد يكون ما نعنيه بالمجموع وجملة الأشياء شىء واحد ؟

ثــيــا : هذا ما يظهر.

س : لنوضح الأمر لأنفسنا فى هذا الموضوع بالأسئلة التالية : هل العدد الذى يكون «البليثرون» (٦) المربع و«البليثرون» شىء واحد ؟

ثــيــا : أجل.

س : وكذلك يكون الحال بالمثل بالنسبة للعدد من «الاستاديون»

ثــيــا : أجل

س : وبالمثل يكون عدد الجيش وكل الأشياء الأخرى التى هى من هذا القبيل، إذ أن مجموع العدد الذى هو فى كل منها متحد فى الوقت نفسه بحقيقتها الإجمالية.

ثــيــا : أجل

س : لكن العدد فى كل منهما شىء آخر غير أجزائها ؟

ثــيــا : نعم شىء آخر.

---

(٦) باليونانية aspent-plethron هو مقياس طولى طوله حوالى١٠١قدم. وهو سدس الاستاديون stade وهو حوالى ثمن الميل الرومانى.

س : فكل ما يتجزأ مكون من أجزاء.

ثـيـا : بكل وضوح.

س : لكن إذا سلمنا بأن كل الأجزاء تتساوى بالمجموع فإن مجموع العدد ينبغى بدوره أن يساوى الشىء بجملته.

ثـيـا : موافق.

س : فالكل le tout لا يتكون إذن من أجزاء وإلا فسوف يصبح مجموعة من الأجزاء.

ثـيـا : يبدو أنه ليس كذلك.

س : لكن هل يمكن للجزء أن يكون جزءا لشىء آخر غير الكل الذى ينتمى إليه؟

ثـيـا : نعم للمجموع.

س : إنه لعراك عنيف، يا ثياتيتوس، لكن ألا يعنى المجموع الجملة التى لا ينقص منها شىء؟

ثـيـا : بالضرورة. ٢٠٥

س : ألا يكون الكل هو أيضا الذى لا ينقص منه شىء؟ بحيث يصدق أن ما ينقصه شىء لا يكون كلا ولامجموعا بل يتغير ولايصبح كلا ولا مجموعا على السواء.

ثـيـا : يبدو لى الآن أنه لا يوجد أى فارق بين المجموع والكل(٧).

س : ألم نقل إنه حيث وجدت الأجزاء فى شىء ما يكون المجموع والكل والأجزاء شيئا واحد.

ثـيـا : تماما.

س : ولنرجع إذن إلى النقطة التى كنت أود أن أوضحها، وهى أنه إذا لم يكن المقطع والحروف شيئا واحدا، ألا يترتب على ذلك ألا تصبح الحروف أجزاء منه، أما إذا كانا متشابهين تماما فلن يقل عنهما ولن يزيد فى قابليته للمعرفة.

ثـيـا : هذا حق .

س : ألم نكن نتجنب هذه النتيجة حينما وضعنا المقطع موضعا مختلفا عن الحروف؟

---

(7) The sum and the whole- Somme et tout

ثـيـا : أجل

س : حسن، فإن لم تكن الحروف أجزاء للمقطع فهل يمكنك أن تذكر لى أجزاء للمقطع غير الحروف

ثـيـا : كلا ، يا سقراط، فما دمت قد سلمت بأنها مركبة، فسوف يكون من المضحك أن أترك الحروف لكى أبحث عن أجزاء أخرى فى مجال آخر.

س : فخلاصة القول، ياثياتيتوس، إن المقطع صورة واحدة وغير منقسمة بأى حال من الأحوال .

ثـيـا : يبدو كذلك.

س : أتتذكر، اذن يا عزيزى، أنه منذ فترة قصيرة قد سلمنا على نحو لا يقبل الطعن بأن المبادىء الأولية التى يتكون منها كل شىء لا تقبل البرهان ذلك لأن كل واحد منها فى حد ذاته وبذاته غير مركب، وأنه لا يصح أن ننسب له حتى الوجود être أو أن نشير إليه «بهذا» بحجة أن هذه الألفاظ تعبر عن أشياء مختلفة غريبة عنه، وكان ذلك هو السبب الذى من أجله قد جعلنا العناصر الأولية غير قابلة للبرهان وغير قابلة للمعرفة؟

ثـيـا : إنى لأذكر ذلك.

س : أليس هذا على وجه الدقة ولا شىء غيره هو السبب فى كونه بسيطا وغير منقسم فى نظرى؟

ثـيـا : لا يوجد فى نظرى شىء آخر.

س : ألا يتخذ المقطع بدوره الصورة نفسها ما دام بغير أجزاء وذا حقيقة واحدة ؟

ثـيـا : بكل تأكيد.

س : فإذا كان المقطع هو عدة حروف أو هو كل وأجزاؤه هى الحروف فلن تصير الحروف بأقل ولا بأكثر منه قابلية للبرهان أو المعرفة إذ قد بان لنا أن الأجزاء كلها والشىء برمته يتساويان.

ثـيـا : بكل تأكيد.

س : لكن، من جهة أخرى، إذا كان المقطع وحده بلا أجزاء فإنه سيكون من غير الممكن تفسيره أو معرفته هو وأجزاؤ للسبب نفسه .

ثـيـا : إنى لا أرى إلا ذلك الرأى.

س : ما دام الأمر كذلك، فلا ينبغى أن نقول : إن المقطع قابل للبرهان والمعرفة فى حين أن الحروف ليست قابلة لذلك.

ثـيـا : طبعا إذا كنا نثق بالأدلة.

دليل تجريبى : حروف الهجاء والموسيقى : ٢٠٦

س : لكن ماذا تقول إذا ما جعلتك تجربتك الخاصة فى تعلم الحروف تميل إلى رأى معارض ؟

ثـيـا : أى رأى تقصد ؟

س : منذ بداية تعلمك إلى آخره، ألم تكن تحاول أن تميز الحروف بالبصر أو بالسمع كل واحد منها عن الآخر حتى لا يختلط عليك الأمر إذا ما تغيرت مواضعها سواء عندما تسمع أو تقرأ.

ثـيـا : صحيح ما تقوله هنا.

س : وعندما تعلمت القيثارة، ألم يكن ينبغى عليك أن تحصل القدرة على تتبع الأصوات بالأذن وأن ترد كلا منها إلى الوتر الذى يبعثه، لأن الأصوات هى عناصر الموسيقى فى رأى الجميع.

ثـيـا : بلا نزاع.

س : إذا كنا نثبت من واقع تجربتنا الخاصة بالعناصر والمركبات فسوف ننتهى إلى القول بأن العناصر الأولية تكون أوضح معرفة وأكثر فاعلية عند إلمامنا بأى موضوع من موضوعات المعرفة، أما من يأتى لكى يثبت لنا أن المركب بطبيعته قابل للمعرفة فى حين أن العنصر ليس كذلك فإننا لن نرى فى هذا الكلام سوى مزاح سواء قصد هو ذلك أو لم يقصد.

ثـيـا : بكل تأكيد.

المعانى الممكنة لكلمة برهان[8].

س : أظن أننا سوف نجد أدلة أخرى تثبت هذا الموضوع لكن ينبغى ألا ننسى أبدا عند البحث فيها ما كنا بصدده أى ما الذى نعنيه بكلمة البرهان التى تضاف إلى الظن الصادق الذى يكون العلم فى أكمل صوره.

ثـيـا : لننظر فيما تعنيه هذه الكلمة؟

س : فما الذى يمكن أن نعنيه بلفظة برهان : يبدو أن لها أحد هذه المعانى الآتية :

ثـيـا : أى معان ؟

س : الأول يتلخص فى التعبير الشفهى الواضح عن الفكر بالأصوات المركبة من أفعال وأسماء بحيث يعكس هذا الإرسال الصوتى الفكر كما لو كان صورة منعكسة له فى مرآة أو على صفحة الماء، ألا توافق على أن مثل هذا التعبير هو البرهان؟

ثـيـا : نعم ، ففى رأيى – على الأقل – أننا نقول عمن يفعل هذا أنه يعبر،

س : فهنا ، إذن ، شىء يمكن لأول عابر أن يعلمه سواء بسرعة أو ببطء، حين يبدى حكمه فى أى موضوع كان، ما لم يكن أصم أو أخرس منذ ولادته. وبالنسبة لهذا الموضوع فإن كل من لديهم أى ظن صحيح يبينون أن هذا الظن مصحوب بالبرهان وعلى هذا فلن يبق للعلم أى موضوع خاص به.

ثـيـا : هذا صحيح.

تعريف البرهان بأنه حصر العناصر : ٢٠٧

س : ومع ذلك فلا ينبغى أن نسرع بلوم من عرف العلم بالتعريف الذى نفحصه الآن أو نعد قوله لغوا، فربما لم يقصد هذا المعنى، بل قصد أن يجيب على السائل عن معنى التعريف بأنه حصر للعناصر.

ثـيـا : وكيف ، يا سقراط ؟

س : بالمعنى الذى وصف به هيزيود العربة فذكر أجزاءها المائة.

(٨) برهان – تفسير عقلى أو منطق. Logos, raison, account

وهى أجزاء لا أستطيع أنا أن أعدها ، ولا أظنك بقادر على ذلك أيضا، ولذا سوف نقتنع بالرد على من يسألنا مم تتكون العربة بقولنا، من العجلات والمحور والجسم والقضبان ومجر العربة.

ثـيـا : تماما.

س : ولسوف يظن بنا هذا الرجل الظن نفسه إذا ما سألنا عن اسمك فأجبناه بذكر المقاطع التى يتكون منها، وقد نفكر ، ونعبر تعبيرا صحيحا ولكننا سوف نكون عابثين إذا تصورنا أنفسنا نحويين قادرين على أن نفسر اسم ثياتيتوس على نحو ما يفسره علماء النحو. ولسوف يقول: إنه من المستحيل علينا أن نقدم برهانا علميا حيث إننا لم نضف إلى الظن الصادق كل عناصر الموضوع، كما ذكرنا سابقا.

ثـيـا : هذا ما قلناه فى الواقع.

س : وسوف يكون لدينا بالمثل فكرة صحيحة(٩) عن العربة ولكن من يستطيع أن يفسر طبيعتها بتعداد أجزائها المائة فقد أضاف بهذه الطريقة برهانا لهذه الفكرة الصحيحة واستبدل الظن البسيط بالمعرفة الفنية والعلم بماهية العربة، إذ إن عرضه العناصر إنما هو عرضه للشىء بجملته.

ثـيـا : ألا يبدو هذا تفسيرا جيدا ، ياسقراط؟

س : خبرنى إن كنت تسلم ، يا صديقى ، بأنه يكفى لكى نفسر موضوعا من الموضوعات أن نستعرض كل عناصره فى حين أن وصفه بذكر المقاطع التى يتكون منها أو أية وحدات أكبر يعد وصفا خاليا من أى برهان؟ لتذكر لى رأيك فى هذا الأمر ولسوف أبحثه.

ثـيـا : إننى أسلم بهذا تماما.

س : هل تظن أنه يجوز لأى إنسان أن يعلم أى موضوع إذا ظن أن هذا الموضوع هو تارة جزء من شىء وتارة أخرى جزء من شىء آخر غيره، أو عندما يعتقد

---

(٩) فكرة صحيحة أو ظن صادق. Aright notion

أن شيئا يكون جزءا من موضوع معين ثم يكون شيء آخر هو الجزء نفسه في الموضوع نفسه .

ثـيـا : لا يجوز هذا أبدا ، وحق السماء.

س : فهل تنسى أنك عندما بدأت تتعلم الحروف كنت وأمثالك تقعون في مثل هذه الأخطاء.

ثـيـا : أتود أن تقول إننا كنا نضع حرفا تارة وحرفا تارة أخرى في المقطع نفسه وأن الحرف الواحد قد نضعه في المقطع المناسب الذي ينبغي أن يكون فيه وتارة أخرى في مقطع آخر ؟

س : ذلك تماما ما أعنيه.

ثـيـا : كلا لم أنس هذا بالمرة، ولا أعتقد أبدا أننا ما لم نتجاوز هذه النقطة نكون قد وصلنا إلى العلم.

س : لنفرض أن أحدهم كان في مثل هذا الظرف وأوشك على كتابة «ثياتيتوس» ٢٠٨ وظن أنه ينبغي عليه أن يكتب فكتب. The ثم رغب أن يكتب ثيودورس وظن انه ينبغي أن يكتب وكتب ت Te فهل نؤكد أنه يعرف المقطع الأول من اسميكما؟

ثـيـا : كلا، فقد اتفقنا على أن من يقف عند هذا الحد من المعرفة لا يعرف بعد.

س : وما يمنعه من أن يظل على هذه الحال في المقطع الثاني والثالث والرابع.

ثـيـا : كلا لا شيء.

س : هل يكتب عن ظن صادق من استعرض العناصر عنصرا عنصرا وكتب اسم ثياتيتوس بالنظام الصحيح.

ثـيـا : نعم بكل وضوح.

س : ويظل مع هذا ينقصه العلم وإن كان حكمه صحيحا حسب ما اتفقنا ؟

ثـيـا : أجل

س : وبالإضافة إلى الظن الصادق يكون لديه البرهان إذا كان في حوزته ثبتا بالعناصر التي اتفقنا على أن البرهان يتلخص في ذكرها ؟

ثـيـا : صحيح.

س : فيوجد إذن، يا صديقى، ظـن صـادق مصحوب بـالبرهـان لا ينبغـى أن نسميـه علما.

ثـيـا : هذا صحيح.

س : يبدو أن ثروتنا التى ظننا أنفسنا قد ملكناهـا فى التعريف الصحيح للعلم إنما هى مجرد حلم، أو لا ينبغى أن نحكم عليها بالإعدام ؟ وربما لا يكون هذا مقياس البرهـان.

بل له معنى آخر هو الباقى من الثلاثة التى كان من بينها تعريف العلم بأنه الظن الصادق المصحوب بالبرهان.

ثـيـا : تذكرة حسنة، ويبقى – أيضا – معنى لم نذكره، فالأول كان يعنى الفكر المنعكس فى صورة ملفوظة والثانى الذى عرضناه حالا كان يتلخص فى مراجعة الكل عنصرا عنصرا، أما الثالث فما هو ؟

البرهان - بوصفه الخاصة المميزة (١٠):

س : إن المعنى الذى يعرفه به عامة الناس يتلخص فى وجود خاصة تميز موضوع البحث عن سائر الأشياء الأخرى.

ثـيـا : فهل يمكنك أن تضرب لى مثلا لهذا التفسير بالنسبة لشىء ما ؟

س : لنتخذ الشمس إن شئت مثلا لذلك، ولسوف ترضى تماما عن التفسير الذى يقول: إنها أكثر الأشياء ضياء من بين الأجسام التى تتحرك فى السماء حول الأرض.

ثـيـا : بكل وضوح .

س : وإليك ما ينطوى عليه هذا المثال، وما يوضح ما كنا نقوله الآن من أن الخاصة المميزة التى تميز كل موضوع عن جميع الموضوعات الأخرى هى التى تكون البرهان على حد قول البعض(١١).

---

(١٠) الخاصة المميزة :Diaphorà-Différence characté

(١١) من المقصود هنا؟ يجيب كامبل بأنهم السقراطيون وبخاصة الميجاريون. ولا يمكن أن نحدد بالضبط المناقشات التى دارت أثناء حياة أفلاطون وفيما قبل لتمهد لنظرية أرسطو فى التعريف.

انظر فى هذا الموضوع (Metaph. VII, 12 (10376, 10386, 35

ترجمة النص 1038b28 إن التعريف هو : العلة الناتجة عن الخواص المميزة – وكذلك عرف أفلاطون النوع بذكر الجنس والخاصة .(Métaph 1039 a 125)

ومتى عرفتها فقد عرفته. لكن طالما لم تصل إلا إلى صفة عامة فإن الأشياء التى تعرف برهانها لن تكون سوى موضوعات عامة

ثـيـا : إنى أفهم وهذا ما يبدو لى تطبيقا ممتازا لكلمة البرهان.

س : فبإضافة الخاصة المميزة التى تميز الموضوع عن غيره إلى الظن الصادق فإنك تحول الاعتقاد الذى كان لديك إلى علم.

ثـيـا : هذا مؤكد.

س : لكن الواقع، يا ثياتيتوس، إنى أحس بإحساس من اقترب من لوحة-ذات منظور معين-فعندما أنظر عن قرب إلى هذه العبارة فإنى لا أجد فيها أى معنى فى حين أنها كانت تبدو لى ذات معنى طالما بقيت أنظر إليها وأنا على مسافة معينة منها.

٢٠٩

ثـيـا : وكيف ذلك؟

س : سوف أفسر لك الأمر إن استطعت ذلك، أى أنه إذا كان لدى عنك ظن صادق ثم أضفت برهانا عقليا عنك فقد عرفتك فإن لم يحدث فإنما أظن فقط.

ثـيـا : أجل.

س : فالبرهان المذكور يعنى إضافة للخاصة المميزة.

ثـيـا : هذا صحيح.

س : فطالما كنت لا أفعل شيئا سوى الظن فقد كان ما تختلف به عن الغير بعيدا كل البعد عن ذهنى.

ثـيـا : هذا هو ما يبدو.

س : فقد كان كل ما أتصوره عنك هو صفة عامة لا تشارك فيها غيرك من الناس.

ثـيـا : هذا مؤكد بالضرورة.

س : بالله عليك لننظر كيف فى مثل هذه الحالة يكون حكمى منطقيا عليك أكثر من غيرك؟

ولنفرض أنى أخذت فى التفكير على هذا النحو : هذا هو ثياتيتوس له أنف وعينان وفم وكذلك عن كل الأطراف الأخرى الواحد بعد الآخر فهل مثل

هذه الأفكار يمكنها أن تجعلنى أتصور ثياتيتوس أو ثيودورس أكثر من آخر «المسينين» كما يقولون ؟

ثـيـا : وكيف يمكن ذلك ؟

س : وبالعكس إذا كان موضوع تفكيرى ليس فقط أنفا وعينين، بل أنفا أفطسا وعينين جاحظتين فهل ينطبق حكمى عليك أكثر مما ينطبق على نفسى وعلى كل من لهم هذه السمات ؟

ثـيـا : كلا أبدا.

س : لكن أظن أنه قبل أن أحكم على ثياتيتوس كان ينبغى أن تؤثر فى فطوسة أنفه تأثيرا خاصا مختلفا عن كل ما قد سبق أن رأيته من أنوف فطساء وأن أكون قد سجلتها مع كل السمات الأخرى الخاصة بك بحيث تذكرنى بك وتجعلنى أحكم عليك حكما صحيحا إذا قابلتك غدا.

ثـيـا : هذا حق تماما.

س : فالظن الصادق إذن هو الذى يقع على الخاصة المميزة فى كل شىء.

ثـيـا : هذا واضح.

س : فماذا تعنى إضافة البرهان إلى الظن الصادق، سوى أنه إضافة الصفة التى يختلف بها شىء ما عن غيره، وهكذا يصبح الوصف خاليا من أى معنى. وكيف ؟

ثـيـا : أى أنه حين يكون لدينا ظن صادق عما يختلف به الموضوع عن غيره فإنه يتعين علينا أن نحكم بظن صادق على ما يختلف به الشىء عن الأشياء الأخرى، وعلى هذا النحو يظل هذا التفسير يدور فى دائرة مفرغة وبهذا يستحق أن نسميه توجيها أعمى إذ أنه يطالبنا بإضافة أشياء سبق وجودها عندنا لكى نعرف أشياء تشغل فكرنا وهذا أشبه بحالة تعمية مطلقة.

ثـيـا : لكن لتذكر لى ما كنت تنوى أن تقوله أيضا عندما كنت توجه لى الأسئلة الآن.

س : إذا كانت إضافة البرهان تقضى بمعرفة الخاصة ياصديقى الفتى وليس مجرد الحكم عليها بالظن فسوف يكون هذا التعريف هو خير تعريف قدمناه للعلم، فالمعرفة هى فى الواقع اكتساب العلم، أليس هذا صحيحا؟. ٢١٠

ثـيـا : أجل.

س : فهذا الإنسان إذن الذى تسأله ما العلم سوف يجيب أنه الظن الصادق مع العلم بالخاصة المميزة، لأن إضافة البرهان سوف يعنى الشىء نفسه فى رأيه.

ثـيـا : هذا صحيح.

س : إذن فإنه من باب السخف أن يأتى أحدهم ليؤكد لنا نحن الذين نبحث عن العلم أنه الظن الصادق مع العلم بالخاصة المميزة أو أى شىء يرغبون فيه.

وكذلك ، يا ثياتيتوس، لن يكون العلم إحساسًا ولا ظنا صادقا ولا برهانا منطقيا يضاف إلى هذا الظن الصادق

ثـيـا : يبدو أنه ليس كذلك.

س : فهل مازلنا نعانى، يا عزيزى، من آلام الوضع فيما يتعلق بموضوع العلم أم قد انتهينا من هذا ؟

ثـيـا : نعم ، حقا لقد انتهينا، فقد وضحت بفضلك أشياء كثيرة تربو عما كان لدى.

س : فهل انتهى فننا فى التوليد سدى، ولم يأت بنتيجة تستحق، التقدير ؟

ثـيـا : هذا مؤكد.

فضل التوليد :

س : فإذا حاولت بعد كل ذلك ، يا ثياتيتوس، أن تتصور (١٢) من جديد وتصورت فإنك سوف تمتلئ بأفكار أفضل بعد أن تطهرت بالبحث الحالى أما على العكس من ذلك إن بقيت خاليا من الأفكار فإنك سوف تكون أخف ظلا على من ترافقهم وأكثر تهذيبا لأنك بحكمة ما لن تتخيل مطلقا أنك تعرف ما لا تعرف. إن فى هذا وحده تتلخص كل قوة فنى ، ولست أعرف شيئا مما تعرفه كل هذه العقول الفذة المدهشة فى أيامنا هذه وفيما سبق.

لكن فن التوليد هذا هو موهبة وهبتها السماء لأمى إذ تولد النساء ووهبتها لى إذ أولد النفوس النبيلة.

أما الآن ، فإنى على موعد فى رواق الملك كى أجيب على الاتهام الذى وجهه إلى مليتوس فلنحدد موعدا نتقابل فيه هنا فى الغد يا ثياتيتوس.

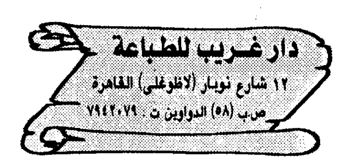
---

(١٢) فى الأصل تعنى الكلمة أن تحمل To conceive ويعنى أن تحمل الأفكار أى أن تتصور.

تم بحمد الله

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة


دار غـريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلي) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت : ٧٩٤٢٠٧٩